الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education
And Scientific Research
University Abdelhamid Ibn Badis
Mostaganem
Faculty of Arabic Literature And Arts

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس
مستغانم
كلية الآداب العربي و الفنون

استمارة إيداع مذكرة الماستر

تخصص: لسانيات عربية

السنة الجامعية 2024***2025

إطار خاص بالطالب(ة)

الاسم : فايزة

اللقب : خربيش

تاريخ و مكان الميلاد : 2002/12/25
بحين شاذلي

رقم الهاتف : 06.76.03.29.55

البريد الإلكتروني: KharbichePaiza@gmail.com

عنوان المذكرة:
حجاجية الملفوظ في الخطاب القرآني (ملوح مختارة)

إطار خاص بالأستاذ(ة) المشرف(ة) على المذكرة

اسم و لقب الأستاذ (ة)المشرف(ة) على المذكرة : ن عمارة محمد

رتبة الأستاذ(ة) المشرف(ة) : محاضر (ب)

إمضاء الأستاذ(ة) المشرف(ة) ن عمارة محمد

إمضاء رئيس قسم الدراسات اللغوية و الأدبية

أ.د غزول شهرزاد
رئيس
قسم الدراسات اللغوية و الأدبية

نموذج التصريح الشرفي

الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

(طبقا للقرار رقم 1082 المؤرخ في 27 ديسمبر 2020 الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها)

أنا الممضي أسفله،

السيد (ة). حنو بسمة مايزة ..... ، الصفة: طالب

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم 142387a27 الصادرة عن

بلدية بقواوي الخير بتاريخ 2024/07/29.

المسجل (ة) بكلية الآداب العربي و الفنون قسم الدراسات اللغوية و الأدبية والمكلف بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج (ماستر))

عنوانها: صاحبة الملفوظ ط.ع الخطاب القرآني ..... لنصاح مختارة ا .....

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2025/06/11

توقيع المعني (ة)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم–

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات اللغوية والأدبية

مذكرة لنيل شهادة ماستر في الأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

حجاجية الملفوظ في الخطاب القرآني
(نماذج مختارة)

إعداد الطالبة:

خربيش فايزة

إشراف:

د. بن عمارة محمد

لجنة المناقشة:

الرتبة/الاسم واللقب:	اسم الجامعة:	الصفة:
د/معمر عبد الله	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	رئيسا
د/ بن عمارة محمد	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	مشرفا ومقررا
د/ بلقاسم إبراهيم	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	عضوا مناقشا
د/ فغلول حورية	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2024م

Scanned with CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

بعد مسيرة دراسية حملت في طياتها التعب والفرح ها أنا اليوم أقف على عتبة تخرجي فالحمد لله على فرصة البدايات وبلوغ النهايات.

أهدي ثمرة نجاحي لمن بلل جبينه، بعرق الجد والتعب، ولمن غرس في نفسي أن لا سبيل للنجاح سوى الصبر والعزيمة.

أبي الغالي

إلى من حفت الجنة بخطاها، وكانت لعثراتي عونا، ولأيامي الصعبة نورا، إلى الإنسانة العظيمة التي لطالما تمنت أن تقر عينها في يوم كهذا.

الأميرة أمي

إلى من وهني الله نعمة وجودهم في حياتي إلى العقد المتين من كانوا عونا لي في رحلة بحثي.

إخوتي

إلى من كاتفتني ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح في مسيرتنا العلمية توأم روحي.

عائشة

إلى من وهبني الله نعمة وجودها في حياتي رفيقة دربي.

نبيلة

شكر وتقدير

قال الله تعالى: ﴿لئن شكرتُم لأزيدَّنكم﴾ (إبراهيم 07)

وعملا بهذه الآية واعترافا بالجميل أحمد الله عزوجل وأشكره على أن وفقني لإتمام هذا العمل المتواضع.

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ **المشرف "بن عمارة محمد"** الذي رافقني طيلة هذا البحث وأرشدني بالمعلومات ولم يبخل بتوجيهاته وزرع التفاؤل في دربي وقدم المساعدات والتسهيلات والأفكار والمعلومات.

راجي من الله عز وجل أن يسدد خطاه ويحقق مناه فجزاه الله كل خير

فايزة

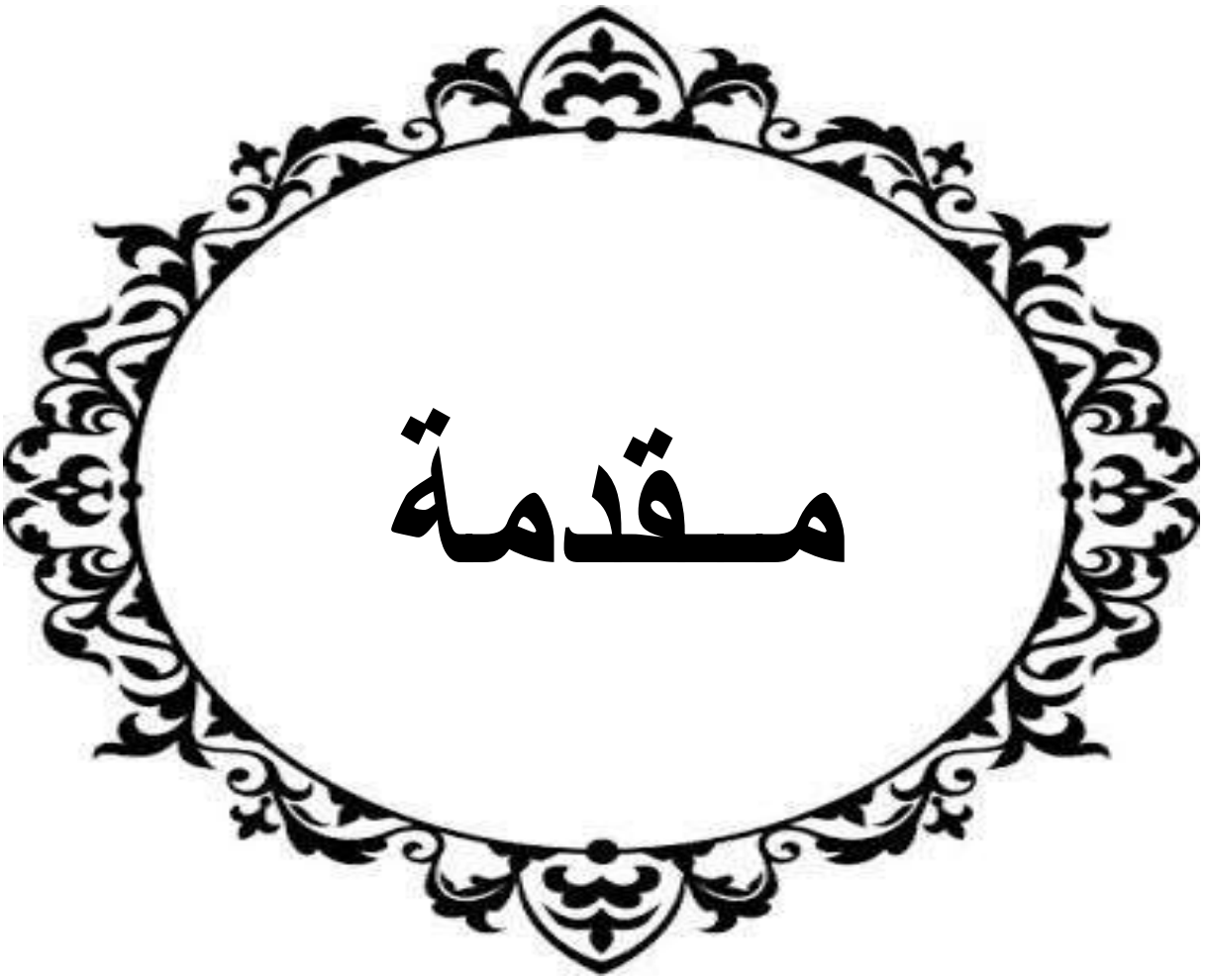
مـــقدمة

مقدمة

يندرج الحجاج اللغوي ضمن الآليات التي تبحث في الظواهر الحجاجية الموجودة في بنية اللغة والتي يتحقق بواسطتها فعلا الإقناع والتأثير، ويرتبط ارتباطا وثيقا بالبلاغة المعاصرة التي سجلت عودتها بقوة مع الدراسات اللغوية كوسيلة إقناع بالدرجة الأولى باعتباره استراتيجية تواصلية يعتمدها المحاجج في الخطاب بتقديم جملة من الحجج والأدلة لتحقيق مقاصد الخطاب التداولي.

ساهم الحجاج اللغوي في بلورة أفكار وآراء جديدة فهو لا يقتصر على الأفكار والمعاني، إذ إن اللغة ليست مجرد وسيلة لنقل المعلومات بل تستغل لتبرير المواقف والدفاع عن الأطروحات فضلا عن محاولة إقناع المتلقي، كما حظي باهتمام واسع في اللسانيات التداولية المعاصرة، حيث تمثل دوره في الكشف عن البناء الحجاجي للغة وبناءً على هذه الأهمية أصبح أمرا ضروريا لإظهار الأبعاد الخفية التي يوظفها المتكلم بهدف التأثير في الآخر.

وكما ذكرنا فالحجاج من النظريات اللسانية الحديثة، وقد تأسس فعليا على يد العالمين الفرنسيين، أوزفالد ديكرو وجون كلود أونسكومبر، أما في العالم العربي فقد تجلت ملامحه التطبيقية بجهود الباحث والناقد المغربي أبو بكر العزاوي، الذي أسهم في توسيع مفاهيم هذه النظرية وتطويرها، حتى أصبحت أعماله تمثل حجر الأساس في إغناء الدرس الحجاجي العربي.

وعليه جاءت هذه الدراسة موسومة بـ "حجاجية الملفوظ في الخطاب القرآني (نماذج مختارة)".

وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نجيب على جملة من التساؤلات التالية:

-ما مفهوم الحجاج اللغوي؟

-ماهي الخلفيات الفلسفية والمعرفية للحجاج اللغوي؟

-كيف نشأ الحجاج اللغوي؟

-كيف تلقى النقد العربي نظرية الحجاج اللغوي؟

-ماهي الآليات الإجرائية للحجاج اللغوي؟

-كيف تجلى الحجاج اللغوي في الخطاب القرآني؟

وبناء على هذه التساؤلات:

تكمن هذه الأهمية في الكشف عن مواطن الإقناع والتأثير في الخطاب القرآني، ويعزز النظر في سياق الحوار أو النص حيث يسعى عن مدى إمكانية تحليل النص القرآني بآلية التداولية.

وعليه ومن هذا المنطق فإن من الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع دون سواه هي:

- ندرة الدراسات التي تناولت وخاصة المتعلقة بالقرآن الكريم.
- التعرف على الآليات الحجاجية الموظفة في القرآن الكريم.

تهدف هذه الدراسة إلى:

- التعريف بنظرية الحجاج اللغوي والوقوف على واقع المصطلحات المفتاحية المتعلقة بهذه النظرية.
- محاولة فهم الآليات الحجاجية في الخطاب القرآني.
- تحليل بنية الخطاب القرآني من منظور الحجاج والتأثير.

وللإجابة عن الإشكالية البحث قمنا بتقسيمه إلى مدخل وفصلين تتقدمها مقدمة وتليها خاتمة لخصت فيها أهم نتائج البحث أما المدخل جاء موسوما بـــ: "مفاهيم وتقاطعات "حيث تضمن مفاهيم ومصطلحات العنوان الحجاج والخطاب القرآني، بينما الفصل الأول جاء معنونا "بالحجاج اللغوي "والذي قسمته إلى خمسة مباحث.

المبحث الأول تناولت فيه نشأة الحجاج اللغوي، أما المبحث الثاني جاء بعنوان أهم رواد الحجاج اللغوي في النقد العربي والذي تفرع إلى مطلبين المطلب الأول الحجاج اللغوي عند أبو بكر العزاوي والثاني عند شكري المبخوت، أما المبحث الثالث الذي جاء معنونا بالحجاج

اللغوي عند ديكرو وأنسكومبر، تناولت في المبحث الرابع علاقة التداولية بالحجاج اللغوي، أما المبحث الخامس جاء بعنوان الآليات الإجرائية للحجاج اللغوي.

في حين جاء الفصل الثاني موسوما بـ "الحجاج اللغوي في الخطاب القرآني" الذي قسمته إلى أربع مباحث.

المبحث الأول المعنون بالروابط والعوامل الحجاجية في القرآن الكريم أما المبحث الثاني تناولت فيه الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري بينما جاء المبحث الثالث موسوما بالسلم الحجاجي والعلاقات الحجاجية في القرآن الكريم أما المبحث الرابع معنونا بالمواضع والاتجاه الحجاجي في القرآن الكريم وأخيرا اختتمنا هذا البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج الموّصل إليها من خلال البحث.

أما فيما يخص المنهج في هذه الدراسة فقد اقتضت طبيعة الموضوع، الاعتماد على المقاربة الحجاجية التداولية مسندة إلى الإجراء الوصفي والتحليلي، وبالأخص مقاربة الحجاج اللغوي.

وقد اعتمدنا في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر أهمها:

- بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية.

- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج.

-عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة.

أما عن الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذا البحث هي ندرة الدراسات التي تناولت موضوع الحجاج اللغوي في القرآن الكريم قلة المراجع المتخصصة في هذا المجال وذلك لحداثة الدرس الحجاجي.

رغم كل هذه الصعوبات إلا أنني حاولت تجاوزها بفضل جهد الأستاذ المشرف الدكتور **"بن عمارة محمد "** الذي تكرّم بإشراف على مذكرتي وتوجيهاته السديدة وآرائه النيّرة، فكان نعمة المرشد والموجه، كما أتقدم بخالص الشكر للجنة المناقشة.

المدخل

"الحجاج مفاهيم و تقاطعات"

- تعريف الحجاج:

يحظى الحجاج في الدراسات الحديثة بأهمية بالغة، وتبرز هذه الأهمية من خلال وروده في مواضع متعددة من القرآن الكريم، مما يدل على حضوره العميق في القرآن الكريم **قوله تعالى "أَلَمْ ترَ إلى الّذِي حَاجَّ إبراهيمَ فِي رَبِّه ِ"(سورة البقرة-258)**، حيث نجد معاني مختلفة عند اللغويين في معاجمهم.

أ_لغة:

جاء في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي **(ت175)**"مادة **(حجج)** قد تكسر الحَجَّةُ والحَجُّ فيقال حِجَّ وحِجَّةُ. ويقال للرجل الكثير الحج حَجّاج من غير إمالة، وكل نعت على فَعَّال فإنه مفتوح الألف فإذا صيّرته اسما يتحول عن حال النعت فتتخلله الإمالة كما دخلت في الحجاج والعَجّاج وحَجَّ علينا فلان أي قدم والحجُ: كثرة القصد."[1]

عرّف ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة **(ت395)**"في مادة /حجّ الحاء والميم أصول أربعة، فالأول القصد، وكل قصد حج، يقال حاججت فلان فحججته أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة والجمع حجج، والمصدر الحِجاج ...، والأصل الآخر: الحِجّة وهي السّنة...، والأصل الثالث الحِجاج وهو العظم المستدير حول العين، والأصل الرابع: النكوص "[2]

من خلال التعاريف يعرف الحجاج بأنه الجدال أو الحوار الذي يهدف إلى إثبات صحة موقف أو رأي، يستخدم المصطلح للإشارة إلى النقاشات التي تتسم بالمنطق والإقناع ويشمل الحوار والبرهان.

أما إبن منظور **(ت 711ه)"الحجاج"** في معجمه **"لسان العرب"** في مادة **(حجج)**،"حاججته وأحاجه ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أذليت بها والحجة:

---

[1]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح:عبد الحميد هنداوي، دار للطبعة الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2003 م-1424ه،ج1، ص286.

[2]- أبو حسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، مقاييس اللغة ،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،ج1،ص 277-279.

البرهان وقيل الحجة ما دوفع به الخصم ورجل محجاج أي جدل. والحجة كذلك الدليل والبرهان".[1]

يعرف الحجاج بأنه الجدال أو المفاوضة التي تهدف الى إثبات الحق أو دفع الباطل باستخدام الأدلة، فالحجة عند ابن منظور هي البرهان الذي يرد به الخصم الذي لا يكون إلا بين طرفين أو أكثر.

ب_اصطلاحا:

يرى بعضهم أن الحجاج في الدراسات الحجاجية على ضربين أنت لا تبرح حدود المنطق فهو ضيق المجال ومرادف للبرهنة والاستدلال إذ هو يعنى بتتبع الجانب الاستدلالي في المحاجة وضرب هو واسع المجال لا تعقاد الأمر فيه دراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على إذعان السامع أو القارئ.

يكاد كون هذا التقسيم من نافلة القول فأهم منه، فيما نحن منه بسبيل أن نبحث في الحجاج من جهة علاقته بالجدل من ناحية وبالخطابة من ناحية أخرى.

أما كلمة الحجاج ما يقابله بالفرنسية مصطلح (Argumentation) إن وجد في المنطق و في العلوم الشكلية عموما حيث يرادف الاستدلال أو البرهان (La demonstration) فإنه قد يوجد في أي خطاب فيه منازعة للرأي و الخصومة، أما كلمة الحجاج بحكم صيغتها الصرفية الدالة على معنى المشاركة في تقديم الحجج وعلى مقابلة الحجة بالحجة المؤهلة أكثر من كلمة الاستدلال لتؤدي مفهوما مهما جدا في المناقشة والحوار، وبذلك أصبح الحجاج أشمل و أوسع من الاستدلال أو البرهاني الذي ظل رغم انتقاله بين العلوم المختلفة يحافظ على حده المنطقي الأول فهو على العموم مجرد استنتاج قضية من أخرى استنتاج لزوم و توقف و ضرورة .لهذا عدّ في نظرية الحجاج الحديثة نقيضا للحجاج الذي ينطلق من مبدأ الحرية و يقوم على الحوار.[2]

---

[1]- ابن منظور ،لسان العرب، دار صادر،ط3،بيروت،لبنان،1993م-1444ه،ج2،ص 222.

[2]- ينظر،عبد الله صولة،الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،دار الفرابي،ط1،بيروت،لبنان،2001،ص 8-9.

يعتمد الحجاج على اللغة الطبيعية ويهدف إلى إقناع المتلقي وتوجيه سلوكه، بينما يقتصر الاستدلال البرهاني على استنتاج قضايا من أخرى بشكل منطقي صارم.

"وبالرجوع الى الأصول اللاتينية للمصطلح، نجد أن كلمة (Argument)من الفعل اللاتيني (Arguere) وتعني جعل الشيء واضحا ولامعا وظاهرا، وهي بدورها من جذر إغريقي (argues)ويعني أبيض لامعا، يشير إلى عدة معان متقاربة، أبرزها:

.استعمال الحجج.

.مجموعة من الحجج تستهدف تحقيق النتيجة ذاتها.

.استعمال الحجج أو الاعتراض بها في في مناقشة ما". [1]

يمكن القول إن فعل الحجاج يقوم على الدفاع عن اعتراض أو أطروحة بواسطة حجج، أو عرض وجهة نظر معارضة مصاحبة بحجج.

ظاهرة الحجاج بارزة بقوة في كل القضايا التي تطرح، وكأنّه مبنيّ عليها من ألفه إلى يائه، يجده يستعمل الحجج بشتى أنواعها، سواء كانت لغوية اسلوبية، أو تاريخية، أو واقعية، أو فكرية، أو برهانية[2]، تظهر نظرية الحجاج بنوعا في استخدام الحجج بهدف إقناع متلقي وتوجيهه نحو قبول رأي وموقف معين، وهذا التنوع يعكس قدرة الحجاج على تأثير مختلف جوانب التفكير.

ومن أبسط التعاريف اللسانية الحجاج "كونه عملية لسانية اتصالية الغاية منها الإقناع، الذي يعتمد على وسائل منطقية ولغوية خاصة في الغاية الوضوح على أن الفعل الإقناعي أحد أشكال الفعل الإدراكي، وهو يتعلق بمقام التلفظ، ....، لكل أنواع الصيغ والطرق التي تهدف إلى أن يكون التواصل فعالا، ويقبل المخاطب التعاقد أو التفاهم التلفظي المقترح". [3]

---

[1]- عبد الجليل العشراوي ، الحجاج في الخطابة النبوية ، عالم الكتب الحديث ،إربد، الأردن ،2012 ،ص9-10

[2]- حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج والاستدلال الحجاجي دراسات في البلاغة الجديدة ،دار ورد الاردنية النشر والتوزيع ،ط1 ،المملكة المغربية ،2011 ،ص11

[3]- عبد الجليل العشراوي . الحجاج في الخطابة النبوية ،ص11

من خلال التعريف أن اللغة حمالة لوظيفة حجاجية ذاتيا وجوهريا وفي بنية الجمل والأقوال نفسها، نجدها في الظواهر الصوتية، الصرفية والمعجمية، التركيبية، الدلالية، والتداولية.

إن مفهوم الحجاج انتقل من موقع تضمنه، إلى خطاب مستقل بذاته، حيث كان الحجاج مرتبطا بالإستمالة والإقناع والتأثير الذي يدققه الخطيب، لكن مع البلاغة الحديثة قد أصبح خطابا صريحا أو ضمنيا يستهدف الإقناع و إقحام المخاطب .يمكن القول أن الحجاج يعتمد على أساليب فكرية دقيقة تهدف إلى إقناع المخاطب سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

أسس بيرلمان وتيتكاه ما يسمى ب "مدرسة البلاغة الجديدة " التي تقوم على إعادة تأسيس البرهان والحجاج الاستدلالي، باعتباره تحديدا منطقيا يمكن أن يساعد على دراسة المنطق التشريعي والقضائي. ركز على الوظيفة التواصلية للغة معتبرين أن الأشكال البلاغية يمكن أن تساعد على اقناع[1].

يقول بيرلمان أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، بالأداة قوية التأثير على الآخرين و إقناعهم خاصة من خلال استخدام تقنيات بلاغية تسهم في بناء الحجة والإقناع، لذا يمكن اعتبار خطابه في نظرية البرهان دعوة لفهم كيفية تشكيل الحجج بشكل فعال لإقناع المتلقين و تحقيق التأييد .

والحجاج مجموعة من الآليات التي تؤدي استخدامها في الخطاب وظيفة إقناعية، تتمثل في حمل المتلقي على اقتناع بما يعرض عليه، أو تعزيز درجة إقناعه به.[2]

الحجاج يمثل أداة فعالة في التأثير على المتلقي، حيث لا يقتصر دوره على الإقناع فقط، بل يمتد إلى التحفيز للأفعال واتخاذ القرارات بناء على ما تم تقديمه بذلك يصبح الحجاج وسيلة لتحفيز الفعل وتحقيق التأثير الملموس في سلوك المتلقي.

هذا التعريف يجعل حصول الاختلاف بين الحجاج والبرهنة أمرا من قبيل المسلمات أما البرهنة، فإن الحجاج يطلب الإثبات والإقناع وينهض على حجج مفيدة أو غير مفيدة، ويقدم

[1]- ينظر، رحمة توفيق، الحجاج اللغوي في الخطاب الإسلامي، عالم الكتب الحديث،الأردن،2020،ص 21.
[2]- ينظر، سامية الدريدي،الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه، عالم الكتب الحديث، ط 1،إربد،2007،ص 21.

أدلة لصالح أطروحة محددة أو ضدها، أما البرهنة توفر أدلة ضرورية، فإن كانت البرهنة تقع بطريقة مجردة في استقلال عند كل سياق عدا سياق النظام وكانت صحيحة أو خاطئة، مطابقة لقواعد الاستدلال في النظام أو غير مطابقة.[1]

الحجاج يعتمد على تقديم حجج وأدلة قد تكون قوية أو ضعيفة يهدف الإقناع بينما البرهنة تتطلب أدلة قاطعة تلتزم بقواعد محددة الفرق بينها يكمن أن البرهنة تستند على صرامة المنطقية لا تتأثر بالسياق.

"إنما الحقيقة في الحجاج نسبية وذاتية، لكن لا إلى غير حدّ، وهي مرتبطة بالمقام ولا تكونوا إلا تحت أنظار الجمهور سواء أكان جمهورا كونيا (Auditoireuniversel) أم خاصا (particulier) أو متكونّا من شخص واحد يحاوره الخطيب، أو متكونّا من شخص الخطيب وحده، فهو الخصم والحكم يحاجُّ نفسه".[2]

عندئذ يتوجه رأسا إلى ملكة البرهنة في المحادث (طاقة التفكير والفهم) ولو كان ذلك للوصول إلى نتيجة نفسها. فالفاعل المحاجج يمرّ عبر التعبير عن قناعة أو أمر يستدعي التفسير يسعى من جانبه إلى نقله للمحادث قصد إقناعه ومن ثم تغيير سلوكه مثال:

(قوموا أم أخرى لابنها):"أن تمشي على شفا الحاجز تعرض نفسك للوقوع والألم الشديد"

لكي يوجد الحجاج أن تتوفر عناصر أساسية: خبر عن العالم يجب أن يمثل أشكالا بالنسبة إلى شخص ما من حيث مشروعيتّه.

فاعل يلتزم بهذه الإشكالية (القناعة) وينشئ برهنة لمحاولة تأسيس الحقيقة (سواء أكانت خاصة أم كونية وسواء أتعلق الأمر بمجرد مقبولية أو مشروعية)

إن الأمر يتعلق بالشخص الذي يتوجه إليه الفاعل المحاجج على أمل استدراجه نحو مقاسمه الحقيقة نفسها(الإقناع) مع العلم أن ذلك الشخص بإمكانه قبول الحجاج أو رفضه (أن

[1]- ينظر، صابر الحباشة، التداولية مداخل و نصوص، صفحات للدراسات والنشر، ط1، دمشق، 2008، ص 69.
[2]- عبد الله صولة، نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ماسكيليائي للنشر والتوزيع،ط1، تونس، 2011،ص 14- 15.

يكون مع) أو (ان يكون ضد) هكذا يتحدد الحجاج في علاقة بين الفاعل المحاجج وخبر عن العالم وفاعل الهدف.[1]

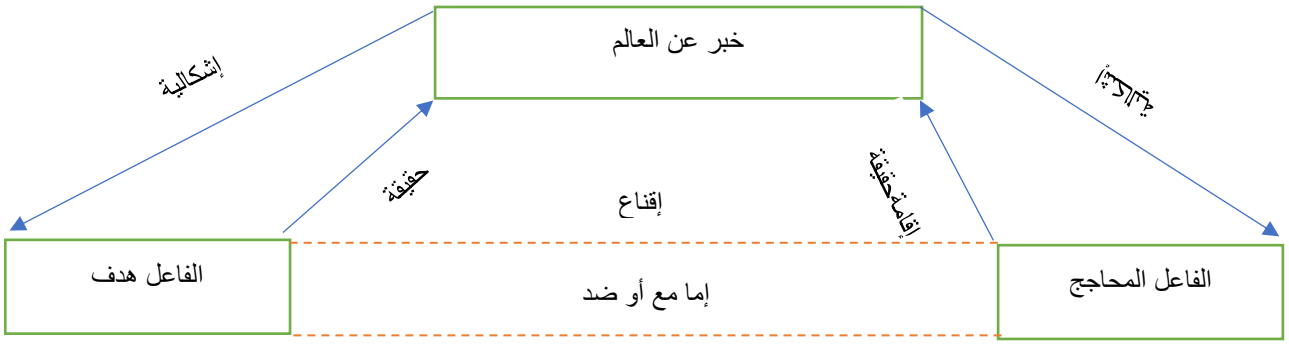

إذن حجاج هو نشاط قولي إذا تأمّلناه من زاوية نظر الفاعل المحاجج ألفيناه يتعلق ببحث مزدوج عن الحقيقة.

-تعريف الحجاج في الدراسات الغربية :

يُعرّف الحجاج بأنه عملية استخدام الحجج والأدلة لإقناع المتلقي أو دفعه إلى تبني وجهة نظر معينة ، ويعتمد على تقنيات بلاغية ومنطقية تهدف إلى إقناع الأفراد أو تحفيزهم لاتخاذ موقف أو إجراء معين

-تعريف الحجاج عند شاييم بيرلمان وألبرخت تيتيكاه:

لقد عرّف بيرلمان وتيتيكاه الحجاج تعريفات عدة في مواضيع مختلفة من كتابهما أهمها قولهما:"موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم "[2]

[1]- ينظر، باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والاسلوب، ترجمه: احمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحده،ط1، نبغازي، ليبيا، 2009،ص 14 -13.

[2]- عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الاسلوبية ،ص27.

يركز الحجاج على استكشاف الأدوات البلاغية التي تستخدم لإقناع أو تعمق اقناعه بأفكار المطروحة لا يقتصر على تقديم الحجج بل يعمل على تعزيز قدرة الخطاب في التأثير على عقول المتلقين.

يكون الحجاج حوارا من أجل الوصول إلى إقتناعLa conviction ، دون حمل على الإقناع la persuasion، يكون بعيدا عن الاعتياطية واللا معقول ،فالحجاج عندهما معقولية وحرّية.[1]

الحجاج يسعى إلى إقناع المتلقي بشكل معقول وحر ، دون فرض الإكراه أو الإلتزام الضروري مما يجعله أكثر مرونة و واقعية ،و بالتالي يتم التأكيد على أن يعتمد على الحوار والمعقولية بعيدا عن التلاعب العقلي أو الاستلاب .

يذهب حمادي صمود إلى أبعد من ذلك تمرير الأفكار والتصورات والأخيلة التي تريد تمريرها على حساب ما هو قائم في ذهن المتلقي، ومن هنا ارتبطت البلاغة المعاصرة،وخصوصا منها نظرية الحجاج (traité de argumentation) وما تعلق بها من بحوث هذا ما جعل مفهوم الإقناع في شتى العمليات الفكرية معينة[2].

نظرية تركز على دراسة كيفية استخدام الخطاب لإقناع المتلقين في مختلف العمليات الفكرية ،فالبلاغة المعاصرة تسعى لفهم تقنيات التأثير والإقناع التي تحكم الحوار وتساهم في تشكيل آراء المتلقين وتوجيه تفكيرهم.

حين نقارب مفهوم الحجاج لأول وهلة، يتضح أنه مفهوم عائم يصعب حصره وتحديده، إذ نجده في الدراسات القانونية والمقاربات اللسانية والنفسانية والخطابية المعاصرة[3].

يعد الحجاج جزء أساسيا في مختلف المجالات الفكرية حيث يتداخل مع الفلسفة والمنطق والبلاغة إضافة دوره البارز في الدراسات وكذلك يبرز أهمية الحجاج كأداة حيوية التأثير والتوجيه في تنوع السياقات.

---

[1]- ينظر ، عبد الله صولة ،في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ،ص11، 12

[2]- ينظر ،حافظ اسماعيلي علوي ،الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث ، ج1،إربد،الأردن ،2010،ص178، 179

[3]- ينظر، محمد طروس ،النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ،دار الثقافة ،ط1،الدار البيضاء ،1426ه ،2005م ،ص6.

إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة ،وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن تسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع (Les faits) المعبر عنها داخل الأقوال فقط،ومن وجب التمييز بين الاستدلال (Raisonnement) والحجاج (Argumentation) لأنهما ينتميان نظامين جد مختلفين، نظام ما نسميه عادة بالمنطق ونظام الخطاب.[1] وقد تم التأسيس ب لهذا التوجه الحديث سنة 1958 ، بصدور كتاب مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة Traité) de l'argumentation :la Nouvelle rhétorique) لكل من شيم بيرلمان (Ch.pelmanوأولبريخت تيتيكا (O.tyteca) وتستمد هذه النظرية ،آلياتها الإجرائية من المفهوم العام للحجاج ،فهو طريقة تحليل واستدلال في كلام ما،يقصد تقديم مسوغات مقبولة للتأثير في الإعتقاد والسلوك. والحمل على الإذعان بشكل يدفع إلى العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه) أو التهيؤ للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة ،وهذا يقتضي استراتيجية لغوية تكتسب بعدها المعرفي من الأطراف الرئيسية في العملية التواصلية ،إذ لابد لمتكلم أن ينقل تصوراته ومدراكاته إلى المستمع يقصد الإبلاغ والإخبار مع حتمية الإقناع ،بناء على مراعاة الظروف المقامية.

على هذا الأساس رأى الدارسون المحدثون أن الحجاج يتميز بعدة ملامح :

.التوجه الى المستمع.

.التعبير بلغة طبيعية.

.المسلمات لاتعد وأن تكون احتمالية[2].

إن الحجاج يتسم بمرونة كبيرة، حيث يعتمد على توجيه المتلقي بلغة طبيعية مفهومة ،وتظل المسلمات التي يتم البناء عليها احتمالية وليست ثابتة.

أضاف إلى هذا تقسيم الحجاج إلى صنفين هما:

[1]- حافظ اسماعيلي علوي ،الحجاج مفهومه ومجلاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة عالم الكتب الحديث ،ج1،اريد ،الاردن ،2010م ،ص57.

[2]- ينظر،هناء حلاسة ،بلاغة الحجة في الخطاب الخلفاء الراشدين دراسة وصفية لنماذج خطابية ،مركز الكتاب الاكاديمي ،ط1،عمان ،2016 ،ص24- 25

أ- الحجاج الإقناعي: وهو الحجاج الذي يتوجه إلى ملتقى خاص معتمدا في ذلك على الخيال والعاطفة.

ب-الحجاج الإقتناعي: وهو الحجاج الذي يهدف إلى أن يستلم به كل ذي عقل يعتمد على العقل.

يتشكل الحجاج عند بيرلمان (Perelman) وتيتكاه (Tetyca)من مقدمات يستثمرها المحاجج في خطابه، لإقناع المتلقي أو الجمهور.

1-الوقائع :حيث يشكل نواة التي يلجأ إليها المتكلم في استدلال على موضوع ما ،وتمثل ما هو مشترك بين عدة من الأشخاص أو بين جميع الناس وتنقسم إلى نوعين:

.وقائع مشاهدة.

.وقائع افتراضية.

2-الحقائق : تعد عنصرا مهما بالنسبة للخطيب ،حيث يعتمد إلى ربطها بالوقائع بغية تحقيق بداية حجاجية قوية .

3-الافتراضات: تعتبر مقدمة من مقدمات الحجاج " إن الافتراضات ليست ثابتة بل هي متغيرة تبعا للوسط والمقام والمتكلم والسامعين ،لأنها تقاس بالعادي (Le normale) والعادي مفهوم مجرد يختلف باختلاف القدرات والإمكانيات الفردية والجماعية. "

4-القيم: تشكل نواة أساسية في منظومة الحجاج ،خالية من الاستدلالات ذات البعد العلمي والعلوم الشكلية ،وتنقسم إلى نوعين :

أ- القيم المجردة : ← العدل

← الصدق

ب- القيم المحسوسة : ←الوطن ،فرنسا الكنيسة....

-5المعاني : ماهو أعم وأشمل منهاالمواضع (Les topiques)التي تعتبر مخزنا للحجج التي يستعين بها الخطيب ،ومن بين المواضع العامة:

أ- مواضع الكم: هي المواضع المشتركة التي تثبت أن شيئا ما أفضل من شيئا آخر لأسباب كمية :

ب- مثال : ← الأكثر أفضل من الأقل

← الكل أفضل من الجزء

ب-مواضع الكيف: تكون ضد مواضع الكم تتميز بوحدتها الشكلية.[1]

مفهوم الحجاج عند ستيفان تولمين (Stephan - toulmin) :

يمكن أن نستلخص مفهوم الحجاج عند تولمين من الرسوم الحجاجية المختلفة التي صاغها في كتابه:

الرسم الموضح: وفيه نجد الرسم الحجاج ذا ثلاثة أركان أساسية هي المعطى (م) والنتيجة (ت) والضمان (ض) . ويصاغ نظريا على النحو التالي: م اذن :ن ،والمثال عليه هو من عند نامنسوجا على مثاله :[2]

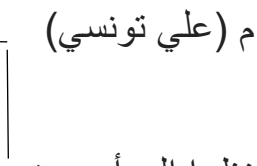

لكن اللافت للانتباه في نموذج تولمين الحجاجي هذا أنه للمفارقة غير حجاجي إذا إعتبرنا أن الحجاج يرمي دائما إلى إقناع الغير .

انطلق تولمين في التنظير الحجاج من الباب " إصلاح المنطق بشكل يصبح هذا الأخير علما أكثر اتساعا من الناحية الاستمولوجية"[3]

تولمين عمل على توسيع مفهوم المنطق ليشمل أبعاد أوسع من خلال التنظير الحجاجي ،حيث جعله أكثر مرونة للتكيف مع مختلف السياقات، لذلك تحولت الحجة من مجرد استدلال منطقي صارم إلى أداة مرنة تساهم في فهم وتوجيه العمليات الفكرية بشكل أوسع وأعمق حيث صدق بلونتين حيث اعتبر نموذج تولمين الحجاجي أقرب إلى نموذج المستوفي لشروط الحقيقة (Modéle véricondition‌nel) منه إلى نموذج الخطابي ،وإن كان من الممكن

1- ينظر ،رحمة توفيق ،الحجاج اللغوي في الخطاب الاعلامي ،ص25 -28.
2- ينظر ، عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص22.
3- مانويل ماريا كاريلو ،خطابات الحادثة ،تر : إدريس كثير وعز الدين الخطابي منشورات دارما بعد الحادثة ،ط1 ،2001 ،ص78.

أن نستشن وجود صوت المتلقي المحتمل يعترض ضمنيا على (م ← ن) فكأنها من أجل ذلك جيئ بالأركان (ض،ج،س) لتثبيت الحقيقة. ولكن هذا المتلقي المحتمل قد يكون المتكلم ذاته يخاطب نفسه ويحاول إقناعها، والظاهر أن تولمين قد تجاوز فيما بعد ،تعريف الحجاج على هذا النحو المعتبر إياه لا مجرد تتابع للقضايا من قبيل ما كنا نرى بل تفاعلا بين الأطراف المساهمة في المحادثة فهو إذن حوار وليس مناجاة.[1]

الحجاج يعتبر عملية تفاعلية تبنى على الحواريين الأطراف المختلفة حيث يتم تبادل الافكار وتفاعلها بدلا من مجرد عرض قضايا ثابتة ، فهو ليس مجرد مناجاة أو سرد أحادي، بل يهدف إلى تحفيز النقاش والتفاعل للوصول إلى إقناع أو تعبير المواقف

مفهوم الحجاج لدى ميشال مايير :

مفهوم الحجاج عند مايير استلخص بعض من مفاهيم المدرسة الفرنسية يقول "الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه "والوجه في ذلك حسب رأيه أن يوجد في معنى الجملة الحرفي إشارة حجاجية .(Marquer argumentatif) وقيام الحجاج على قسمين: صريح وضمني والعلاقة بينهم هي على الصعيد لساني محض مندرجة حسب بروندنير في إطار تداولية مندمجة (pragmatique intégrée) تجمع بين لسانيات اللغة وعناصر المقام ،وذلك فوق الرسم التالي:

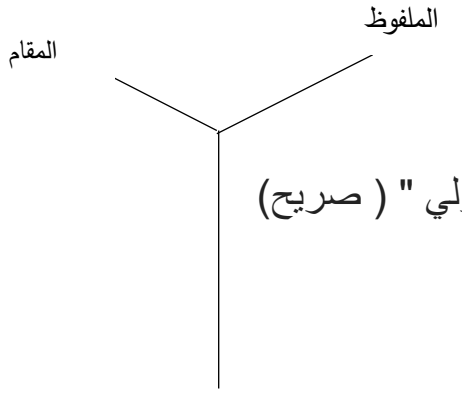

إن هذا الرسم ذا الشكل الشبيه بحرف "y" اللاتيني الذي اعتبره بروندونير المحور الذي تدور عليه معظم الدراسات .فتقسيم مايير لاجدة فيه فهو كما نرى ينازعه فيه أعلام

[1]- ينظر ،عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،ص26 ،27.

مختلفون ومجالات درس مختلفة. كما يختص مايير بربط الحجاج بنظرية المساءلة ،والحجة عنده إلا جواب أو وجهة نظر يجاب بها عن السؤال مقدر يستنتجه المتلقي ضمنيا .[1]

يفترض مايير أن الحجة تتفاعل مع تساؤلات المتلقي وتوجهه نحو نتيجة ضمنية ،مما يجعل الحجاج أكثر ديناميكية وتفاعلا مع المواقف الفكرية.

تعد نظرية المساءلة إحدى نظريات معاصرة حيث قامت بمعالجة الخطاب بصفة عامة والخطاب الذي يتم داخل عمليات التخاطب خاصة.

والحجاج يهدف إلى إقناع ،وقد استطاع مايير اعتمادا على منطقات معرفية حيث يؤسس منهجيا تساوليا يقوم على مبدأين إثنين:

أولا :المبدأ الافتراضي في تحليل الأقوال.

ثانيا : مبدأ الإختلاف الإشكالي داخل الأقوال.[2]

يعتمد على أسس معرفية تساهم في تعزيز فعالية الحجاج ،حيث يركز على مبدأ تقليل الأقوال لزيادة وضوح الحجج، ويعتبر أن الإختلاف الإشكالي داخل الأقوال يعز زمن التنوع الفكري ويشجع على التفكير النقدي والتفاعل بين الأطراف.

المبدأ الافتراضي :

تقوم كل الأقوال في العمليات التخاطبية على المبدأ الإفتراض المؤسس ،على الجواب والسؤال المفترضين ،انطلاقا من المجموعة من المقومات التي تحكم العمليات التواصلية ،إذ يصبح كل قول (خبرا ،إنشاء ،سؤالا ،تعجب ، أمرا ،نهيا ....)

افتراضا الشيء ما داخل سياق تخاطبي معين.

مبدأ الاختلاف الاشكالي : يقوم على طرح الاختلافات القائمة بين الأقوال ويهدف إلى تحقيق وظيفة القول تواصلا أو إقناعا، وهذه الإختلافات هي الميزة الحقيقة في العمليات التخاطبية ،إذ تصبح محور للاختلاف الإشكالي التي تجسده اللغة من المتكلم لآخر كالبصمة التي تميز عن آخر.

---

[1]- ينظر ، عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،ص38.

[2]- ينظر ،عبد السلام عشير ،عندما تتواصل تتغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ،الدار البيضاء ،2006 ،ص196.

هكذا تعد نظرية المساءلة بحثا في الانتظارات المفترضة داخل الأقوال وبحثا في الاختلافات الإشكالية التي تجسدها اللغة ،نظرية المسألة ،يتم التركيز على فهم التوقعات المتضمنة واستكشاف اختلافات الإشكالية التي تظهر من خلال اللغة.

المسألة والتواصل :

إن تفكر أن نتحدث ،إن نقول شيئا ما ،يعني أن نطرح سؤالا ،وليس التواصل إلا شكلا من هذه الأشكال ،يتحقق عن طريق اللغة ،على أن العمليات التواصلية التي تتم بين الناس ،هي طريقة لا تهدف إلى إيصال شيء ما أو تبليغ فكرة.

من خلال نظرية المساءلة قام مايير بتقديم مجموعة من الأسس النظرية ذات البعد الفلسفي التي تندرج في الإسهامات التنظيرية المعاصرة لإبعاد اللغة ووظائف الكلام[1] .

إن الحجاج " هو بديل عن العنف يسعى إلى تحقيق النتيجة نفسها باعتماد إحدى وسيلتين العنف أو الخطاب تقنع بواسطته الناس فيقنعون فاعتماد هذه الوسيلة أو تلك هو الذي يجعلنا ندرك على أحسن وجه الفرق ما بين حرية المعتقد والاكراه[2]."

الحجاج يعتبر بديلا سلميا للعنف ،حيث يسعى لتحقيق نفس النتيجة عن طريق إقناع المتلقين بالحوار والخطاب العقلاني ،مما يميز بين الحرية في تبني المعتقد والضغط الناتج عن الإكراه، الاختيار بين الوسيلتين يبرز الفرق بين التأثير الطوعي والفرض القسري للأفكار .

تعريف الحجاج في الدراسات العربية:

الحجاج في الدراسات العربية يشير إلى استخدام الاستراتيجيات اللغوية لإقناع الآخرين ودفعهم إلى تبني وجهة نظر معينة، وقد ساهموا العديد من العلماء بوصفة فنا بلاغيا.

الحجاج عند طه عبد الرحمن :

يعتبر من الباحثين اللذين خصصوا مجالا ارحب للحجاج من خلال داساتهم وكتبهم بحيث زواج هذا الأخير بين القديم والحديث ومن أبرز مؤلفاته التي اهتمت بالحجاج "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي "الذي عقد فيه بابا سماه الخطاب والحجاج إذ يقول فيه أن الأصل

[1]- ينظر ، عبد السلام عشير ،عندما تتواصل تتغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ص196 ،198،197.
[2]-عبد الله صولة.،الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الاسلوبية ص44.

في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية بناء على أنه لا خطاب بغير الحجاج ،فقد حاول تسليط الضوء على مبدأين اساسين في الحجاج هما قصد الادعاء وقصد الإعتراض.[1]

خصص مجالا أوسع لدراسة الحجاج قدم اسهاما مهاما من خلال ربطة بين القديم والحديث، مؤكدا على الطبيعة الحجاجية الجوهرية للخطاب، أبرز مفهومين أساسيين للحجاج قصيد الإدعاء الذي يشير الى تقديم حجج قوية، وقصد الإعتراض التي يتيح إلى تفاعل مع الأفكار.

الفعالية الحجاجية :(النظرية الاعتراضية):

وحد الحجاج "أنه فعالية تداولية جدلية ،فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي ،إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية ،ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية ،إنشاء موجها بقدر الحاجة ،وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة"[2]

المنهج الاستدلالى (البرهان):

ولما كان الحوار يحتذي حذ و النموذجين الصوريين الاعلامي والمنطقي ،كان لابد أن ينتهج "العارض" في عرضه مناهج الاستدلال البرهاني. ومعلوم أن هذا المصنف من الاستدلال يتميز بخصائص صورية من تجريد وتدقيق وترتيب ،ومن بسط للقواعد وتمايز للمستويات واستيفاء للشروط واستقصاء للعناصر ،هذه الخصائص التي تجعلنا نتصور آلة تقوم بحساب الاستدلال البرهاني [3].

يعتمد على خصائص صورية دقيقة مثل التجريد والتنظيم والترتيب، مما يمنحه القدرة على تقديم حجج منطقية محكمة حيث يتم استيفاء الشروط اللازمة لاستنتاجات صحيحة ومتسبقة.

ولما كنا نؤثر التأليف المنطقي الاجتهادي على تأليف المنطقي المدرسي كما نؤثر التأليف الفلسفي المنطقي على تأليف التاريخي ،فقد جمعنا في هذا الكتاب أبحاثا منطقية لسانية

---

[1]- ينظر، رحمة وتوفيق ،الحجاج اللغوي في الخطاب الاعلامي ،ص52.
[2]- طه عبد الرحمن ،في اصول الحوار وتجديد علم الكلام المركز الثقافي العربي ،ط2 ،دار البيضاء ،2000،ص65.
[3]- المرجع نفسه ،ص40 ،41.

تدخل باب التأليف الاجتهادي ،إذ سعينا إلى أن نجيئ فيها بشكل أو باخر بما لا يكون معه مقلدين ولا ناقلين ولا شارحين ،بين اختراع لمفاهيم وتوليد المصطلحات وبيان الفروق وإنشاء لدعاوى وصوغ لمبادئ ووضع لقواعد وترتيب لقوانين وتدليل على مسائل واستخلاص لنتائج وتصحيح لآراء وايراد لشبه ،وقس على ذلك نظائره[1].

حيث يركز على اختراع المفاهيم وتوليد المصطلحات وتوضيح الفروق بين الأفكار يهدف إلى إثراء الفكر المنطقي واللساني من خلال تقديم مفاهيم جديدة وقواعد مبتكرة تتفاعل مع القضايا المعاصرة.

الحجاج عند محمد العمري:

"يعد محمد العمري من الباحثين الذين حاولوا الإحاطة بالحجاج واستكناه مكامن الإقناع والتأثير فيه ،ولعل أول ما يلفت النظر في دراسات هذا الباحث هو تأثره الكبير بالفلاسفة اليونانيين ،وخير دليل على ذلك هو كتابه المعنون ب" في بلاغة الخطاب الإقناعي" حيث يقول أحد فصوله لقد حمل أفلاطون في محاوراته على الخطابة ،لاهتمامها لإقناع بدل البحث عن الحقيقة ،وفي محاولته أيضا ملامسة الأبعاد الحجاجية ومدى نجاعتها في إنجاح المقصد الحجاجي."[2]

من خلال التعريف لمحمد العمري يظهر أن الحجاج القى اهتمام العديد من الباحثين والغاية الأسمى للحجاج هي الإقناع والتأثير.

يعتبر محمد العمري أبرز ناقد مغربي يظهر عنده اهتمام بمقولات البلاغة المعاصرة عامة والحجاجية خاصة ،سواء من خلال دراسته المبكرة حول بعض مظاهر "الإقناع " في الخطابة العربية القديمة ،أو من خلال ترجماته المتعددة لبعض رواد هذا التيار أو اهتماماته -الطموحة - لإعادة رسم خارطة عامة للبلاغة العربية القديمة :روافدها ،اتجاهاتها، امتداداتها ،خصائصها الصوتية والنحوية والمنطقية [3]،محمد العمري قدم دراسات مبتكرة حول الإقناع

---

[1]- ينظر،طه عبد الرحمن ،اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،المركز الثقافي في العربي ،ط1 ، دار البيضاء ،1998 ،ص18.

[2]- رحمة توفيق ،الحجاج اللغوي في الخطاب الاعلامي ،ص55.

[3]- ينظر : محمد سالم محمد الامين الطلبة ،الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في البلاغة النقد المعاصر ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط1،بنغازي ،ليبيا ،2008 ،ص287.

في الخطابة العربية القديمة ،سعى إلى تعزيز فهمنا للروافد والاتجاهات التي شكلت معه البلاغة غير الزمن.

يحدد مفهوم الحجاج من خلال ضبط ماهية البلاغة والتي بلورها في ثلاثة مفاهيم "المفهوم الأرسطي التي يخصصها لمجال الإقناع وآلياته حيث يشتغل على النص الخطابي في المقامات الثلاثة (المشاورة والمشاجرة والمفاضلة) وهي بهذا المفهوم تقابل بوتييك (poétique -poetics)التي تعنى بالخطاب المحاكي المخيل أي الشعر حصرا المفهوم الأدبي الذي يجعلها بحثا في صور الأسلوب ،والمفهوم النسقي الذي يسعى لجعل البلاغة علما أعلى يشمل التخييل والحجاج معا "[1].

يحدد محمد العمري مفهوم الحجاج من خلال تصنيف البلاغة إلى ثلاثة مفاهيم رئيسية مما يتيح لها تغطية مجالات متعددة مثل لإقناع وأسلوب والتخيل وسعى إلى جعل تقنيات الحجاج التي تساهم في التأثير على المتلقي عبر الخطاب.

لقد نص الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين " حين تصدى لتعريف البيان على أنه فهم وإفهام ،قائلا :" مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع "[2]،حاول تقديم نظرية البيان من خلال الإفهام والإقناع.

فالبيان حسب قراءة محمد العمري يأخذ معنيان : الأول مرتبط بالفهم والإفهام عن طريق السلامة اللغة ،واعتدالها ،ومراعاة المقام ومقتضيات الحال والتواصل والمعنى الثاني مرتبط بإظهار الحجة لتحقيق عملية الإقناع والتداول.

الحجاج عند صلاح فضل :

يرى صلاح فضل "نظرية البرهان _الحجاج_ هو دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم ،أو تعزيز هذا التأييد على التنوع كثافته ،ومن الصواب المنهجي عدم الخلط بين مظاهر التأمل العقلي المتصل بالحقيقة والمظاهر التي تشير

[1]- محمد العمري ،البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ،افريقيا الشرق ،ط2،المغرب 2012،ص12.
[2]- محمد العمري ،البلاغة العربية اصولها وامتدادها ،افريقيا الشرق ،بيروت - لبنان 1999،ص194.

إلى هذا التأييد ،إذ ينبغي دراسة كل منهما على حدة ،مع الاحتفاظ بإمكانية بحث جوانب تداخلها أو حتى تطابقها ".[1]

تظهر وجهة نظر صلاح فضل أهمية التمييز بين التأمل العقلي الموجه نحو الحقيقة والبرهان الحجاجي يهدف إلى كسب التأييد.

يعتبر صلاح فضل أن الخاصية الأساسية لبلاغته الجديدة هذه هي أنها منطقية وليست تجريبية ...، وأخذ في تحليل أدوات البرهان التي يستخدمها الرياضيون بالفعل لكن مجاله ظل محدودا، وهذا ما نهدف إلى وصفه عبر تحليل أدوات الاستدلال الملائمة للعلوم الإنسانية،

يعكس صلاح فضل تحول البلاغة إلى أداة منطقية قادرة على التحليل ويرجع الفضل إلى تأكيد البلاغيين المعاصرين على ضرورة ربط الشكل بالمضمون وعدم الفصل بينهما، هو أمر مميز للبلاغة الأدبية من البلاغة المنطقية التي تتقاطع مع نظيرتها الفلسفية في طابع السعي لإرساء حقيقة عبر الدليل لا الحجاج والإقناع.[2]

ويؤكد صلاح فصل أن هذه المباحث الجديدة منحت بلاغة الحجاج آفاق واسعة ووثقت من اتصالها بمختلف المجالات المعرفية الحافة بها، وهو ما نجده بيّنا عند ميشيل مايير في دراسته حول المنطق واللغة الحجاج، والإشكالية البلاغة المعاصرة بصفة عامة كما قدم أهم الأفكار التي يطرحها أصحاب النظرية الحجاجية.[3]

يشير هذا إلى أن التقنيات البرهانية الحجاجية تتواجد في مختلف السياقات الاجتماعية والفكرية ،من النقاشات اليومية إلى الحوارات المختصصة ،مما يستدعي تحليل هذه الأبنية لفهم كيفية تأثيرها في إقناع الآخرين وتعزيز المواقف.

تعريف الخطاب القرآني:

"نزل القرآن الكريم وحيا على نبي الهدى صلى الله عليه و سلم ليخاطب العرب أولا من ثم يخاطب الإنسان في كل مكان و في كل زمان .لكون الإسلامي جاء الخطاب واضحا سهل المأخذ ،لا يجد العقل و الإدراك صعوبة في تلقيه و فهمه و الإيمان به ،و هو خطاب وجداني وعقلي في آن واحد خاطب النفس البشرية ، و حرك فيها نوازع الخير في صراعه

[1]- صلاح فصل ،بلاغة الخطاب وعلم النص ،علم المعرفة ،العدد 164،الكويت ،اغسطس ،1992،ص67.
[2]- محمد سالم محمد الامين الطلبة ،الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في البلاغة النقد المعاصر ،ص231-232.
[3]- المرجع نفسه ، ص 234.

مع الشر ،و خاطب العقل البشري لإقناعه بقضايا فكرية تحتاج إلى البراهين والأدلة لقبولها و الإيمان بها ".[1]

الخطاب القرآني جمع بين البعد الوجداني و العقلي مما جعله قادرا على التأثير في مختلف العقول و القلوب فكان دعوة واضحة و سهلة تستجيب للفطرة الإنسانية و تتناسب مع التطور للفكر عبر الزمان والمكان .

لقد توافر في القرآن من المعطيات ما جعله خطابا حجاجيا ،و ما جعل الحجاج يصيب كثيرا من العناصر اللغوية فيه مثل الكلمات و التراكيب و الصور و هي تتكرر فيه تكرارا جعل منها خصائص أسلوبه المميزة من فكرة بديهية جدا و هي أن القرآن خطاب وكونه خطابا يقتضي أنه إقناع و تأثير .فقد حدد بنفيست الخطاب بقوله "الخطاب في مفاهيمه ،كل قول يفترض متكلما وسامعا مع توافر مقصد التأثير بوجه من وجوه في هذا السامع".[2]

القرآن الكريم اعتمد على التكرار اللغوي و الأدوات الحجاجية تشكل الفاعل لتدعيم رسالته و إقناع المتلقي مما جعله خطابا مؤثرا يستهدف العقل و الوجدان معا و يحقق التأثير المطلوب عبر تعزيز الفكرة و توضيحها بشكل بديهي .

ولا شك في أن الخطاب القرآني هو خطاب رباني صادر من الله خالق كل شيء .

قال تعالى : "إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الذِي خَلقَ السَّمَاواتِ وَ الأَرضَ في سِتَّةِ أَيَامٍ ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِه"(يونس_3) و هو القائل حلت قدرته "تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِن َاللهِ العَزِيزِ الحَكِيم إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ " (الزمر _1_2)، لذا تنزه عن يشبه أي خطاب بشري شعرا او نثرا ،فكان معجزا فسر عبد القاهر الجرجاني سر تميز الخطاب القرآني عن سائر النصوص الأدبية قائلا "و ذاك إن إذا كنا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن و ظهرت و بانت و بهرت هي أن كان على حد من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، ومنتهيا إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر."[3]

---

[1]- كريم حسين ناصح الخالدي ،الخطاب النفسي في القرآن الكريم دراسة دلالية أسلوبية ،دار الصفاء للنشر و التوزيع ،ط1،عمان ،1428ه_2007م،ص15.

[2]- عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،ص 40-41.

[3]- كريم حسين ناصح الخالدي ،الخطاب النفسي في القرآن الكريم دراسة دلالية أسلوبية ،ص 15.

إن قوة الخطاب القرآني لا تنفصل في الحقيقة عن عرض فهمها للطبيعة التاريخية المتداولة، التي تشكّل حياة الإنسان وتغرس فيها دوافع شتى ونزوعات متوفرة. ولا شك أن هذه الدوافع والنزوعات تؤسس معرفة ناقصة بالذات، وتشوش تشويشًا واسعًا على إصغاء تلك الذات لأعماقها.

ولكن الخطاب القرآني يمتلك قدرًا كبيرًا من تأثيره النافذ، عبر تمثيله للعاطفة، وتجاوزه عن الضعف الإنساني في حدود معينة. إن العادة يمثل قوة طاغية، فإن امتصاص هذه القوة يتوقف على تمكّن الخطاب من بثّ قيمة الجديدة رويدا، من خلال سياسة طويلة المدى. نستطيع أن نرى في الخطاب القرآني إذن "مخططًا قصديًا" لاحتواء الآنية التاريخية في كليتها الشاملة.

إن الخطاب يؤسّس الفعل بصورة مباشرة، ويحدد أثره وغايتَه، ولذلك يعبّر عن ذروة انبثاقه:

"اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِّي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِن عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الأَكْرَمْ (3) الذِّي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ"(4) " (سورة العلق، 1-4).

مما يؤدي إلى تمثيل الإنسان والأشياء والعلاقات على هذه الحال من (الفعل) و(الدعوة إلى الفعل)، إلى تأكيد (الوظيفة الأنطولوجية للخطاب الاستعاري الذي يجمع بين المحاكاة والإشارة). وفي هذه الوظيفة، تبدو كل الطاقة الكامنة في الوجود وهي تولّد الكفاءة المضمَرة في الفعل، وعندئذ يصبح التعبير الحي هو الذي "يقول الوجود الحي"، على حدّ عبارة ريكور[1].

الخطاب القرآني، هذا يؤسس لفعل وجودي يرتبط بالإنسان وتفاعلاته مع العالم، حيث يتجلّى الإبداع كأداة تفعيل للوجود، وهذا ما يبرز بشكل خاص في النصوص القرآنية التي تدعو إلى الفعل والتعلّم، باعتباره جزءًا أساسيًا من تحقيق الذات البشرية وتفاعلها مع الواقع.

الحجاج في الخطاب القرآني:

[1] - ينظر، وليد منير، النص القرآني من الجملة الى العالم، المعهد عالمي للفكر الاسلامي،ط2 ، القاهرة، 1423ه، 2003م،ص 22-23.

خاطب القرآن الكريم الإنسانية بما جبلت عليه ،قبل أن تختلط عليها غشاوات الجهل والأنانية، وقبل انحرافها فوجه العقل البشري إلى أصول العقيدة بأسلوب يفهمه الناس ،وقد ساق أدلة وبراهين من أجل الإقناع ،فتتا إلى الحق عن حب وايمان ،وقدر هذا ابن القيم الجوزية من قال بخلو القرآن من كل حجة بقوله "ويظن جهال المنطقيين ،وفروع اليونان، أن الشريعة خطاب للجمهور ولا احتجاج فيها وأن الأنبياء دعوا الجمهور بطريق الخطابة، والحجج للخواص وهم أهل البيان يعنون أنفسهم ،ومن سلك طريقهم وكل هذا من جهلهم بالقرآن، فإن القرآن مملوء بالحجج والبراهين في مساءل التوحيد واثبات الصنائع والميعاد"[1] القرآن ليس خطابا للجمهور فقط بل تجاوز ذلك ليكون حجة عقلية وشرعية ،فهو مليئ بالبراهين العقلية والثقلية التي تثبت قضايا التوحيد والمعاد ،مما جعله دليل واضح للعقلاء من مختلف طبقات المجتمع.

وقد تناول "عبد الله صولة "في كتابه "الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية" أن القرآن خطاب. وكونه خطابا يقتضي أنه إقناع وتأثير، فقد حدد بنفنيست الخطاب قوله "الخطاب، في أعم مفاهيمه كل قول يفترض متكلما وسامعا مع توفر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا السامع "،وهما يثبت أنه خطاب كثرة مخاطباته حتى حصلت معرفة هذه المخاطبات في القرآن "علما من علومه "،والمخاطبون فيه نوعان على الأقل :نوع يذكر داخل النص القرآني وهذا بدوره قسمان قسم مذكور معين باسمه أو لقبه أو بضمير الخطاب الذي يعينه شأن خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وخطاب الكافرين في نحو **"قُلْ يَأَيُهَا الكافِرِينْ (1) "**وخطاب لبني " اسرائيل " أو "أهل الكتاب "وخطاب اللذين آمنوا وهو الكثير فيه فهؤلاء هم المتلقون الأولون أو "السامعون الأولون " بعبارة ابن عاشور ويمثلون ما يمكن أن يسمى في اصطلاح الحجاج "الجمهور الخاص أو الضيق " وقسم مذكور في القرآن لكنه غير معين ولا محدد.

أما النوع الآخر من المخاطبين فواقع خارج النص القرآني غير مذكور فيه ،ولكنه مع ذلك معني بخطاب القرآن ،وهو جمهور للسامعين المتلقيين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم .

[1]- ابن الجوزية ،مفتاح السعادة ،دار الكتب العلمية ،ج1،بيروت ،لبنان ،ص220

وعلى هذا يكون القرآن كتاب "إصلاح" بمعنى أنه يرمي إلى تغيير وضع قائم فإذا كان ذلك كان القرآن حجاجا ولا مراء، ويقدم القرآن نفسه على أنه حل لمعضلة صدئت في البحث عن حلها العقول، وتنازع بسببها أهل الكتاب الرأي اختلفوا ،فجاء القرآن لهم بالقول فضل في معظم ما هم فيه مختلفون **:"إِنَّ هَذَا القُرآَن يَقُصُّ عَلى بَنِي إِسْرَائيل أَكْثَر الذي هُم فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (76)**[1] القرآن جاء ليكون حلا للمعضلات الفكرية التي شغلت العقول، وخاصة تلك التي تباين فيها أهل الكتاب ،فقدم لهم الحقيقة بوضوح موضوعية ،مما يفتح امامهم سبل الاتفاق والتوحيد قضايا كانت محل اختلاف.

[1]- ينظر ،عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الاسلوبية ،ص 41-42-44.

الفصل الأول:

الحجاج اللغوي.

المبحث الأول: نشأة الحجاج اللغوي

المبحث الثاني:أهم روّاد الحجاج اللغوي في النقد العربي

المبحث الثالث: الحجاج اللغوي عند أزفالد ديكرو_ وأنسكومبر

المبحث الرابع: علاقة التداولية بالحجاج اللغوي

المبحث الخامس: الآليات الإجرائية للحجاج اللغوي

يُعد الحِجاج أداة لإقناع الجماهير وإثبات الآراء، حيث يعني بكشف أساليب الإقناع والحوار في النصوص، إذ ساهم في تطور الحِجاج ونشأة الحِجاج اللغوي كأداة تحليلية في اللغة.

المبحث الأول: نشأة الحِجاج اللغوي

1- نشأة الحِجاج اللغوي:

الحِجاج في اللغة (largumentation dans la langue)التي وضع أُسسها اللغوي الفرنسي "أزفالد ديكرو"(o.ducrot)، تنطلق هذه النظرية من الفكرة الشائعة التي مؤداها:"أنَّنا نتكلم عامةً بقصد التأثير"، وهي تحاول تبيين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حِجاجية، أي أن الوظيفة مؤشَّر لها في بنية الأقوال نفسها، وفي المعنى، وكل الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية. وتنتمي دراسة الحِجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة، أي أن القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكلٍ متنامٍ وتدريجي. وبعبارة أخرى، فإن الحِجاج يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب[1].

نظرية الحِجاج عند أوزوالد ديكرو تُبرز أن اللغة ليست أداة للتواصل فقط، بل وسيلة للإقناع، مبنية في بنية الخطاب، حيث تكشف على المنطق الداخلي الذي يوجه الأقوال نحو التأثير والإقناع بشكل استنتاجي.

شكَّلت الدراسات البنيوية، وممثلها "فرديناند دو سوسير"، مرحلة مهمة بالنسبة للدراسات التي أعقبتها، أي أنها لعبت دورًا كبيرًا في توجيهها، فقد أكد دو سوسير على أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، وهي حسبه عملية تجري فيها نقل المعلومات والأخبار بين المُرسِل والمُرسَل إليه، حيث يتولى الطرف الأول تزويد الطرف الثاني بمعرفة لم يكن يتوفر عليه[2].

---

[1]- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحِجاج، منتديات سور الأربيكية، ط. 1، الدار البيضاء، 1426هـ/2006م، ص. 8.
[2]- ينظر: رحمة توفيق ومجموعة من الطلبة الباحثين، الحِجاج اللغوي في الخطاب الإعلامي، ص. 44.

أسهمت البنيوية مع دو سوسير في ترسيخ فكرة اللغة كنظام تواصلي منظم، يُركِّز على نقل المعرفة بين المتكلم والمتلقي، حيث أُخذت اللغة كبنية ذات قواعد داخلية تُؤطّر عملية التواصل.

لقد شكّلت هذه المسألة نقطة انطلاقٍ لجلّ الأقطاب، سواء الأقطاب التداولية مع "أوستين وسورل"، أما الحجاجية اللغوية مع "ديكرو وأنسكومبر"، في معارضة ما ذهب إليه "سوسير"، والقول أنّ هناك وظائف أخرى للغة غير التي حصرها، كما سبقت الإشارة. وقد تم تركّيزهم على الملفوظ التداولي الذي يندرج من اللغة ذاتها.

يرى "إيميل بنفيست" أن اللغة لا يمكن أن تتحقق فعليًا إلا بواسطة التلفّظ، وحينئذٍ تتحول اللغة إلى خطاب يُجسد علاقة بين متكلم ومستمع. كما أكّد بنفيست على أنّ التلفظ يُحدث العلاقة الخطابية مع الشريك، سواء أكان شريكًا حقيقيًا أم متخيلًا أم جماعيًا[1].

يركّز إيميل على أن اللغة لا تكتسب وجودها الفعلي إما من خلال التلفّظ أو البعد الحواري في الخطاب، حيث يبرز دور المتكلم والمخاطب.

إنّ نظرية الحجاج اللغوي تتعارض مع الكثير من النظريات والتصورات الحجاجية الكلاسيكية التي تعدّ الحجاج منتميًا إلى البلاغة الكلاسيكية (أرسطو)، أو البلاغة الحديثة (بيرلمان،ألبريخت وتيتيكا، ميشال مايير)، أو منتميًا إلى المنطق الطبيعي (جان بليز غريز).بالإضافة إلى ذلك، فإنّ النظرية التي وضع أسسها "أزفالد ديكرو" منذ سنة 1973هي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية، وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفّر عليها المتكلم، ، وضع أسسها "أوستين وسورل"، وقد قام ديكرو بتطوير أفكار وآراء "أوستين" بالخصوص، واقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين، هما: فعل الاقتضاء، وفعل الحجاج[2].

تتميّز هذه النظرية بتركيزها على البعد اللساني للحجاج، حيث ترى اللغة أداة حجاجية ذاتية تفعل عبر الأفعال اللغوية لتوجيه الخطاب نحو الإقناع والتأثير.

---

[1]- يُنظر: المرجع السابق، ص 44–45.

[2]- يُنظر: أحمد القصوار، تجلّيات تطوير النظرية الحجاجية وتوسيع مجالات تطبيقها في دراسات أبو بكر العزاوي، ضمن كتاب الحجاج اللغوي: قراءة في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، تنسيق: حسن مسكين، عالم الكتب الحديثة، ط 1،إربد، الأردن، 2017، ص 193–194.

يكون الحجاج مرتبطًا بكافة أشكال التواصل، اللغوي وغير اللغوي، حيث يؤكّد على المبدأ العام: "لا تواصل من غير حجاج، ولا حجاج من غير تواصل". بمعنى آخر، إذكان هناك تواصل، فلابد أن يكون هناك حجاج[1].

يرتبط الحجاج جوهريًا بفعل التواصل، إذ لا يمكن تصوّر أحدهما بمعزل عن الآخر، ما يجعله جزءًا أساسيًا من بنية التفاعل الإنساني.

نجد نظرية الحجاج اللغوي عند "تولمين" الذي يرى أن الحُجّة، "بصراحة هي تنسيق بين علة (raison) أو علل وقضية تسعى هذه العلل إلى إثباتها أو البرهنة عليهاوقد قادته (أي تولمين) خاصية تعدد أشكال الحجاج إلى إدماج مفهوم أساسي، هو "الحقل"(field)، حتى يتم تحليل انتماء الحجج إلى نمط منطقي خاص، يركز "تولمين" على الوظيفة التبريرية للحُجّة، معتبرًا أن جوهر الحجاج يكمن في تسويغ المواقف والآراء من خلال علل منطقية.

تُرى اللغة الطبيعية متوفّرة بشكل ذاتي وجوهري على إمكانات التأثير والإقناع، فهي في الوقت نفسه تحتوي على كثير من العبارات والألفاظ والأدوات والروابط والعوامل التي تؤدي وظيفة حجاجية،[2].

وظيفة اللغة الطبيعية لا تقتصر على التواصل فقط، بل تتجلّى في قدرتها على بناء الحجاج والتأثير في المتلقي.

تمخّضت اللسانيات التداولية(pragmatique) على يد "أوستين"(austin) و"سيرل"(searl) عن نظرية أفعال الكلام، والتي استنبط "ديكرو" و"أنسكومبر" من خلال نظرية الحجاج في اللغة، وهي تُنسب إلى أصلها أيضًا: الحجاج التداولي. وعماد نظرية "أوستين" على أن الأفعال اللغوية ذوات المعنى هي ما يُحال على عمل محسوس في الواقع، وسمّاها بالفعل الأدائي في مقابل الفعل الإخباري، وهو ما ينتج عنه فعل ما[3].

نظرية أفعال الكلام جسّدت التحول من اللغة كأداة وصفية إلى أداة إنجازية تؤثر في الواقع.

---

[1] يُنظر: أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، بيروت، لبنان، 2010، ص. 12.

[2]- يُنظر: زكرياء السرتي، اللغة والحجاج: قراءة في كتاب اللغة والحجاج للدكتور أبي بكر العزاوي، ضمن كتاب الحجاج اللغوي: قراءات في أعمال الدكتور أبي بكر العزاوي، تنسيق: حسن مسكين، ص. 229.

[3]- يُنظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص. 182.

"تنطلق هذه النظرية على أنها نظرية لسانية تُعنى بالوسائل اللغوية الحجاجية التي تتضمنها اللغات الطبيعية، مع دراسة الأهداف الحجاجية ورصد تأثيرها التداولي على المستمع"[1].

تبرز النظرية التداولية للغة، حيث تدرس الوسائل الحجاجية بوصفها أدوات تأثير وإقناع، بحيث ترتبط بالبنية التواصلية واللغوية لتحقيق المرجو في ذهن المتلقي.

وقد تمكنت هذه النظرية من التغلب على كثير من المشاكل والصعوبات التي كانت تعترض المقاربات الوصفية واللاصدقِية للمعنى، وخاصة المشاكل المرتبطة بالدور التفسيري لمفهوم (la vérite)، حيث تندرج ضمن تيار حديث في الأدبيات اللسانية. لا يعتبر الوظيفة التواصلية الإخبارية الوظيفة الأساسية والوحيدة للغة، بل إنه على العكس من ذلك، يستند إليها دورًا ثانويًا[2].

أثبتت هذه النظرية قدرتها على تجاوز قصور المقاربات التقليدية بإبرازها لأبعاد المعنى التفاعلي والحجاجي، حيث تُمارَس كفعل اجتماعي يُسهم في بناء الفهم والتأثير.

تهتم نظرية الحجاج في اللغة بالدّور الحجاجي الذي يؤدّيه النسق اللّغوي، أي (المكونات اللغوية) في ذاتها من أسماء وأفعال وحروف وطرائق توظيفها في الكلام بانتحاء الوجوه النحوية والصيغة الصرفية، المعلومة في اللغة البشرية عنصر حجاجي بذاته(intrinscéque)[3].

تبرز نظرية الحجاج في اللغة كيف أن البنية اللغوية ذاتها تحمل طاقة إقناعية كامنة، دون الحاجة إلى عناصر خارجية.

إن البنية اللغوية هي التي يعود إليها سلطان الكلام الحجاجي، وإنّما تعمُّق الباحثين في أصل نشأة البعد الحجاجي في الكلام هو الذي دفع بهم إلى مثل هذا الرأي، ولعلّ السبب الرئيسي كما يرى "موسى/ روث" هو اعتبارهما الحجاج عملًا لغويًا لا عملًا خطابيًا.[4].

---

[1]- جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، مكتبة الأدب المغربي، دار الطباعة إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص 36.

[2]- يُنظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 9.

[3]- يُنظر: عمر بوقمرة، نظرية الحجاج في اللغة في الدراسات المعاصرة: الاستيعاب والممارسة، مجلة العاصمة، العدد 9، 2017، ص 167.

[4]- ينظر، عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية، دار نهى ،ط1، صفاقس، تونس، 2011، ص 30-31.

ينبع الحجاج من بنية اللغة ذاتها، ويعيد الاعتبار للكلمة كفعل موجَّه ومؤثر في الآخر، لا مجرد وعاء للمعنى، حيث يبرز أن اللغة بطبيعتها تمارس الإقناع وتوجّه الفكر.

"بيّن ديكرو وأنسكومبر أن الحجاج في اللغة يجعل الأقوال تتتابع وتترابط على نحو دقيق، فتكون بعضها حُججًا تدعم وتثبت بعضها الآخر. أي إن المتكلم إنما يجعل قولًا ما حجة لقول آخر، هو بلغة الحجاج نتيجة يروم إقناع المتلقي بها، وذلك على نحو صريح وواضح أو بشكل ضمني. بمعنى آخر، إن المتكلم قد يصرّح بالنتيجة وقد يُخفيها، فيكون على المتلقي استنتاجها، لا من مضمون هذه الأقوال الإخبارية، بل اعتمادًا على بنيتها اللغوية فحسب"[1].

أوضح ديكرو وأنسكومبر أن الحجاج ليس مجرد ترتيب للأفكار، بل هو بناء لغوي دقيق يوجه فيه المتكلم البنية ذاتها لإقناع المتلقي، فالقوة الإقناعية قد تكون ظاهرة أو مستترة، لكن مصدرها هو الشكل اللغوي لا المعلومة المجردة.

فالحجاج هو فعل لغوي موجّه لإحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، حيث يُفرض على المخاطب نمطا معينا. أما القيمة الحجاجية فتمثّل نوعًا من الالتزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب[2].

يكشف ذلك عن البعد الإجرائي للحجاج، حيث يُمارس كفعل لغوي يحمل طابعًا إلزاميًا، يوجّه المتلقي نحو مسار تفكيري محدد، مما يُضفي على الخطاب صبغة تنظيمية تشبه القواعد القانونية.

[1]- سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه، ص 23.
[2]- يُنظر: أبو بكر العزاوي، "الحجاج في اللغة"، ضمن كتاب الحجاج: مفهومه ومجالاته، من إعداد حافظ إسماعيلي علوي، ص 57.

المبحث الثاني: أهم روّاد الحجاج اللغوي في النقد العربي:

من أبرز روّاد العرب في دراسة الحجاج اللغوي أبو بكر العزاوي، إذ ساهم في تأصيل المفهوم ضمن السياق العربي الإسلامي، وقد انطلق في تحليلاته من التراث البلاغي واللغوي، رابطًا بين الأساليب الحجاجية والبعد التداولي للنص.

الحجاج اللغوي عند أبي بكر العزاوي:

نظرية الحجاج في اللغة تتعارض مع كثير من النظريات والتصورات الحجاجية الكلاسيكية، التي تعدّ الحجاج منتميًا إلى البلاغة الكلاسيكية (أرسطو) أو البلاغة الحديثة (برلمان، ألبرخت تيتيكا، وميشال مايير)، أو منتميًا إلى المنطق الطبيعي (جان بليز غريز). تميّز الحجاج في اللغة بقطعها مع التصوّرات الكلاسيكية التي ربطت الحجاج بالبلاغة أو المنطق، إذ يُعتبر فعلاً لغويًا جوهريًا لا يحتاج إلى إطار خارجي.

لأخذ فكرة واضحة عن مفهوم "الحجاج"(Argumentation) ينبغي مقارنته بمفهوم البرهنة(démonstration)، فلفظة "الحجاج" لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما أو إظهار الطابع الصحيح(valide) لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية.ويمكن التمثيل لكل من البرهنة والحجاج بالمثالين التاليين:

-كل اللغويين علماء.
إذن زيد عالم

-انخفض ميزان الحرارة ← إذن سينزل المطر.

يتعلّق الأمر في المثال الأول ببرهنة أو بقياس منطقي(Syllogisme)، أما في المثال الثاني فإنه لا يعدو أن يكون حجاجًا أو استدلالًا طبيعيًا غير برهاني. فاستنتاج أن زيدًا عالم في المثال الأول حتمي وضروري لأسباب منطقية، أما الاستنتاج احتمال نزول المطر في المثال الآخر، يقوم على معرفة العالم وعلى معنى الشطر الأول من الجملة، وهو استنتاج احتمالي[1].

[1]- يُنظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 14–15.

يفرّق العزاوي بين البرهان المنطقي الحتمي والاستدلال الطبيعي الاحتمالي، حيث يقوم الأول على قواعد صارمة، أما الثاني فيعتمد على قرائن لغوية ومعرفية.

"إن الحجاج اللغوي هو منطق اللغة، وهو المنطق الطبيعي الذي نجده في كل اللغات البشرية، ونجده في كل النصوص والخطابات التي تُنجز باللغة الطبيعية بمختلف أنواعها وأنماطها"[1].

يعد الحجاج اللغوي جوهر التفاعل الإنساني، إذ يستخدم لتبرير الآراء والإقناع المتلقي عبر المنطق ينبع من اللغة ذاتها.

لقد انبثقت نظرية الحجاج في اللغة داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها "أوستين/سورل". وقد قام ديكرو بتطوير أفكار وآراء أوستين بالخصوص، واقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين، هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج. وبما أن نظرية الفعل اللغوي عند "أوستين وسورل" قد واجهتها صعوبات عديدة، (كعدم كفاية التصنيفات المقترحة للأفعال اللغوية) مثلًا، فقد قام ديكرو بإعادة تعريف مفهوم **التكليم** أو **الإنجاز** (lillocutoire)، مع التشبث دائمًا بفكرة الطابع المعرفي(conventionnel) للغة"[2]

حيث جاء تطوير ديكرو لنظرية أفعال الكلام ليعالج محدودية التصنيفات السابقة، مقترحًا توسيعها بفعلي الاقتضاء والحجاج، مما أعاد التركيز على البعد التداولي المعرفي.

يعرفه بأنه فعل لغوي موجّه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة من الحقوق والواجبات، ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطًا معينًا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره[3].

يعكس فعل الحجاج تجاوز الإقناع ليُمارَس كسلطة لغوية توجه المخاطب ضمن أطر خطابية محددة، وتتمثل القيمة الحجاجية بربط النظام الشرعي الداخلي بخطاب يُلزِم أطرافه بمسار حواري منضبط ومؤثر.

---

[1]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 9.

[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 15.

[3]- يُنظر: حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج: مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ص 57.

إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب. وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها يُعد بمثابة حجج لغوية، وبعضها الآخر يُعد بمثابة نتائج تُستنتج منها، باعتبار أن اللغة لها وظيفة حجاجية. يعني أن التسلسلات الخطابية محددة ،لا بواسطة الواقع(les faits) المعبر عنه داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضًا، وأساسًا، بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها[1].

فالحجاج لا يقتصر على عرض الوقائع، بل يتجاوز ذلك إلى توظيف اللغة كأداة إقناع، حيث تُبنى الحجج داخل الخطاب وفق تسلسلات منطقية تهدف إلى التأثير في المتلقي، مما تقف فعاليته على بنية الأقوال نفسها، لا على مضمونها فقط. ومن هنا، وجب التمييز بين الاستدلال(Raisonnements)والحجاج(Argumentation)، لأنهما ينتميان إلى نظامين جد مختلفين: نظام ما نسميه عادة بالنطق، ونظام الخطاب. إن الاستدلال، مهما كان على شكل (القياس الحملي أو الشرطي) مثلًا لا يشكّل خطابًا بالمعنى القوي الذي يعطيه ديكرو لهذا المصطلح[2].

يَظهر تمييز بين الاستدلال كنسق منطقي، والحجاج كفن تواصلي؛ يركّز الأوّل على ترابط القضايا العقلية، أما الثاني على البعد الخطابي والإقناعي الموجّه للغير.

أما الحجاج، فهو مؤسّس على بنية الأقوال، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب.

-ونوضّح هذا بالأمثلة التالية:

*أنا متعب، إذًا أنا بحاجة إلى الراحة.

*الجو جميل، لنذهب إلى النزهة.

*الساعة تشير إلى الثامنة، لِنُسرع.

*عليك أن تجتهد لتنجح.

سنجد أن هذه الجمل تتكوّن من حجج ونتائج؛ والحجّة يتم تقديمها لتؤدي إلى نتيجة معينة. (فالتعب) مثلًا، في الجملة الأولى يستدعي الراحة، ويُقنع النفس أو الغير بضرورتها،

[1]- يُنظر: أبو بكر العزاوي ،اللغة والحجاج، ص 16.

[2]- يُنظر: حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج: مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ص57–58.

فالتعب (دليل وحجة) على أن الشخص المعني بالأمر بحاجة إلى أن يرتاح ويستريح. ونقول الشيء نفسه عن الأمثلة الأخرى: (فجمال الجو) يدعو ويدفع إلى التنزه، ويعتمد المتكلم لإقناع مخاطبه بضرورة الخروج إلى التنزه، أو بالذهاب إلى شاطئ البحر أو إلى حديقة عمومية للتجول فيها، من أجل الترويح عن النفس والاستمتاع بجمال الطبيعة. فالمتكلم يقدّم هذا العنصر باعتباره حجة ودليلًا لصالح النتيجة المقصودة وتعكس هذه العبارات تنوعًا في أنماط الحجاج، ونجد مفاهيم الحجة والنتيجة كانت في التصوّر السابق عند ديكرو في كتابه "السلميات الحجاجية" عبارة عن أقوال، أما في التصوّر الذي نجده في أعماله الأخيرة، فإن هذه المفاهيم أُعطيت لها دلالة واسعة ومجردة.[1].

يكشف هذا التحوّل في تصور الحجة عن تطوّر في فهم الخطاب، حيث لم تعد الحجة محصورة في الأقوال، بل شملت كل ما يمكن أن يُوظَّف دلاليًا لإقناع المتلقي.

والحُجَّة قد تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق، والشيء نفسه بالنسبة إلى النتيجة والرابط الحجاجي التي تربط بينهما. ويمكن أن نبين هذا على الشكل التالي:

- ✓أنا متعب، إذًا أنا بحاجة إلى الراحة.
- ✓أنا متعب، أنا بحاجة إلى الراحة.
- ✓أنا متعب.
- ✓أنا بحاجة إلى الراحة.

فإذا قارنّا بين هذه الأقوال، فسنجد أنه تم التصريح بالحُجَّة والرابط والنتيجة في (المثال الأول)، وتم التصريح بالحُجَّة والنتيجة وأُضمر الرابط في المثال الثاني. أما المثال الثالث، فلم يُصرَّح فيه إلا بالحُجَّة، والنتيجة مضمرة يتم استنتاجها من السياق. ونجد عكس ذلك في المثال الرابع، حيث ذُكرت النتيجة وأُضمرت الحُجَّة.وتتسم الحُجَج اللغوية بعدة سمات[2].

نذكر بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر:

---

[1]- يُنظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 17–18.

[2] - يُنظر: أبو بكر العزاوي، "الحجاج والمعنى الحجاجي"، ضمن كتاب الحجاج: طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط 1، الرباط، 1427هـ/2006م، ص. 58-59.

أ/"إنها سياقية: فالعنصر الدلالي الذي يقدمه المتكلم باعتباره يؤدي إلى عنصر دلالي آخر، فإن السياق هو الذي يصيّره حُجَّة، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية. ثم إن العبارة الواحدة المتضمنة لقضية واحدة قد تكون حُجَّة أو نتيجة.

يتبيّن أن السياق لا يحدد فقط وظيفة العنصر الدلالي، بل يكسبه قوة حجاجية تتغير بتغير المقام، فالحُجَّة ليست في العبارة ذاتها، بل في موقعها داخل البناء التداولي للخطاب.

ب/إنها نسبيّة: فلكل حُجَّة قوة حجاجية معينة، فقد يُقدّم المتكلم حُجَّة ما لصالح نتيجة معينة، ويقدّم خصمه حُجَّة مضادة أقوى بكثير منها

الحجاج نسبي، وقد تُقدَّر قوته مرهونة بمقارنته بحُجَج أخرى في السياق ذاته، فليست كل حُجَّة مقنعة بذاتها، بل بقوتها في مواجهة الحُجَج المضادة.

ج/إنها قابلة للإبطال: فإن الحجاج اللغوي عموماً نسبي ومرن وتدريجي وسياقي، بخلاف البرهان المنطقي والرياضي الذي هو مطلق وحتمي"[1].

يفهَم أن الحجاج اللغوي مفتوح على التعديل والنقض، مما يمنحه طابعًا حيويًا وتفاعليًا، بخلاف البرهان الصارم الذي لا يقبل التأويل أو الإبطال.

شكري المبخوت في الحجاج اللغوي:

"فترابط الأقوال لا يستند إلى الاستدلال المنطقي، وإنما هو ترابط حجاجي، لأنه مسجّل في أبنية اللغة بصفته علاقات تُوجّه القول وجهة دون أخرى، وتفرض ربطه بقول دون آخر. فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تُمثّل مكونًا أساسيًا لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم، في اللحظة التي يتكلم فيها، يوجّه قوله وجهة حجاجية ما"[2].

الحجاج ليس نتيجة منطق خارجي، بل هو مكون داخلي في تسييج القول ذاته، موجهًا بالبنية اللغوية، فكل تعبير يحمل قوة حجاجية خفية ترسم مسار المتلقي وتوجه قصد المتكلم لحظة النطق.

يعتمد الحجاج في الخطاب الطبيعي على تقنيات مخصوصة لا تَختصّ بمجال من المجالات دون غيره، فهي مطواعة حسب استعمال المخاطِب لها، إذ يختار حججه وطريقة

---

[1]- حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج: مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ص. 58-59.

[2]- شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، بإشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة – تونس، ص. 352.

بنائها بما يتناسب مع السياق الذي يُخفيه في خطابه، فيبرز المخاطِب توظيف الأدوات اللغوية بمعانيها وخصائصها وإمكاناتها المعروفة، وتنوّع وظائفها في السياقات الممكنة. وقد صنّف العرب بعضًا منها في أعمالهم التي ركّزت على تلك المعاني، مما أكسب الخطاب ثراء التنوع، ومكّن المخاطِب من حرية الاختيار حسب ما يتطلبه السياق[1].

يعكس ذلك مرونة الخطاب الحجاجي في توظيف الأدوات اللغوية بما يخدم غاياته الإقناعية، ويبرز وعي المتكلم بالسياق وأهميته في بناء الحُجّة، فهو خطاب متجدّد يتشكّل وفق مقتضيات الحال والمقام.

وهذا التوجيه هو الذي يُشرّع للبحث في الترابطات الحجاجية الممكنة، بما أن مصوغاتها موجودة في البنية اللغوية للأقوال، وليست رهينة المحتوى الخبري للقول، ولا رهينة أي بنية استدلالية صناعية من خارج نظام اللغة؛ فالاستدلال يقع رهينًا في مجال المنطق، وقوامه ترابط القضايا التي تصف حالات الأشياء في الكون. لذلك، فإن القياس مثلًا لا يُمثّل خطابًا، أما الحجاج فمجاله الخطاب نفسه، الذي تسيّره قوانين داخلية تفرض استئناف القول فيه على هذا الوجه أو ذلك[2].

التوجيه الحجاجي ينبثق من داخل اللغة ذاتها، لا من منطق خارجي مفروض، وهو ما يجعل الخطاب مجالًا مستقلًا تحكمه ترابطات لغوية تؤسس لمعنى مُقنع؛ فالمجال فعل داخلي تحكمه آليات اللغة لا قوانين المنطق الصوري.

أما موضوع الاقتضاء(présupposition)، فتبين من استعمالهم أهميته في بناء الخطاب، مع استحالة التحدث دون استخدام مفهومه في الأغراض اللغوية الخاصة؛ فاعتبروه إجراءً تعتمده اللغة في نشاطها التحاوري، ومفهومًا تقصده العبارة في حجاجها المنطقي والتداولي لتحقيق غرض معين[3].

---

[1]- يُنظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، "آليات الحجاج وأدواته"، ضمن كتاب الحجاج: مفهومه ومجالاته، للدكتور حافظ إسماعيلي علوي، ص. 79.

[2]- ينظر: شكري المبخوت، نظرية في الحجاج، ص 352.

[3]- ينظر: أحمد كروم، "أدوار الاقتضاء وأغراضه الحجاجية في بناء الخطاب"، ضمن كتاب الحجاج: مفهومه ومجالاته، ص 142.

يُعدّ دور الاقتضاء كآلية حجاجية أساسية تُسهم في اتساق الخطاب وفعاليته، إذ لا يمكن إخفاء حضوره في البناء اللغوي، لما له من أهمية في توجيه المعنى وتحقيق المقاصد التواصلية.

يستلزم الحجاج كونه مكوّنًا من مكونات البنية اللغوية، حيث تتركز عمل المحاجّة باعتبارها علاقة بين الحجة والنتيجة، مختلفة عن عمل الاستدلال، بكونه مرتبطًا ببنية الخطاب من خلال ربط الحجة بالنتيجة، والعلاقة بين عملين لغويين، لا بين قضيتين[1].

يبرز خصوصية الحجاج كعملية لغوية تتجاوز مجرد الاستدلال المنطقي، إذ ترتبط ببنية الخطاب نفسها من خلال ترابط الحجة والنتيجة، مما يعكس تفاعلًا دلاليًا بين قضيتين داخل السياق التواصلي.

[1]- ينظر: شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص 362–363.

المبحث الثالث: الحجاج اللغوي عند أزفالد ديكرو_ وأنسكومبر

يُعدّ الحجاج اللغوي مقاربة تحليلية لخطاب اللغة، ويتركز على توجيه المعنى والتأثير في المتلقي من خلال البنية اللغوية نفسها.

"نظرية الحجاج في اللغة(largumentation dans la langue)، التي وضع أُسسها اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو(o .ducrot) منذ سنة 1973، هي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية. ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها أننا نتكلم عامةً بقصد التأثير"[1].

تبرز نظرية الحجاج لديكرُو البُعد الإقناعي للغة، حيث يُنظر إلى الخطاب كوسيلة تأثيرية يُوظّف فيها المتكلم موارد اللغة الطبيعية لتوجيه المتلقي نحو غايات حجاجية محددة.

وكل ما له صلة داخل بنية اللغة بالاستعمال البلاغي المحتمل من جهة أخرى. فيكون مجال البحث عندهما هو الجزء التداولي (لا الخبرية الوصفية) المسجلة في أبنية اللغة، وتوضيح شروط استعمالها. يمكن أن يُمثّل تيار ديكرو وأنسكمبر تجديدًا أو نقلة نوعية في اللسانيات

كان لتأثير بينفيست ونظرية الأفعال اللغوية أثرٌ بالغ، فما يُميّز حقًا شواغل هذا التيار التداولي هو اعتبار اللغة قيدًا يضبط نسق ترتيب الأقوال في النصوص، إضافة إلى كونها احتمالات في التركيب والنظم[2].

تأثّر التيار التداولي بـ"بينفيست" ونظرية الأعمال اللغويةأظهرت تحولًا في النظر إلى اللغة باعتبارها نظامًا يحكم إنتاج الأقوال ضمن سياقات محددة، لا مجرّد إمكانات تركيبية، بل أدوات توجيه وتفاعل.

"إن الحديث عن الحجاج في اللغة يقتضي منا التوقف عند مؤلفات ديكرو، لا سيما كتابه "الحجاج في اللغة" الذي شاركه في تأليفه جان كلود أنسكمبر(Jean claud anscombre)، وفيه تحدثا عن حجاج مختلف عن الحجاج عند بيرلمان؛ فهو حجاج يقوم

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 8-14.
[2]- يُنظر: شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص 351-352.

على اللغة بالأساس، بل يكمن فيها، بينما عرف بيرلمان الحجاج باعتباره مجموعة أساليب وتقنيات في الخطاب تكون شبه منطقية أو شكلية أو رياضية"[1].

يقدم ديكرو وأنسكومبر تصورًا لغويًا للحجاج يختلف عن المنظور المنطقي لبرلمان، إذ يركزان على الآليات اللغوية الداخلية التي تمكن الخطاب من تحقيق تأثير حجاجي دون الاقتصار على البُنى المنطقية أو الشكلية.

إن الحجاج عند هذين الباحثين هو دراسة من حيث بنيته من ناحية، ومن حيث وظيفته من ناحية أخرى؛ فالحجاج عندهما كامل من حيث بنيته في اللغة ذاتها، كما يدل على ذلك عنوان كتابهما، لا فيما يمكن أن ينطوي عليه الخطاب من بُنى كما هو الشأن عند بيرلمان وتيتيكاه[2].

يرى الباحثان أن الحجاج مكوّن بنيوي في اللغة ذاتها، لا مجرد محتوى إضافي يُدرج في الخطاب، مما يمنح التحليل الحجاجي عمقًا لسانيا يتجاوز التصورات التقليدية القائمة على بُنى منطقية خارجية.

"الحجاج هو أن يقدّم المتكلم قولًا (ق1) أو مجموعة من الأقوال موجّهة إلى جعل المخاطب يقبل قولًا آخر (ق2) أو مجموعة أقوال أخرى، سواء أكان (ق2) صريحًا أم ضمنيًا. وهذا الحمل على قبول (ق2) على أنه نتيجة للحجة (ق1) يسمى "عمل محاجة"[3].

يُعد الحجاج عملية تواصلية تهدف إلى الإقناع، حيث يوظف المتكلم أقوالًا (ق1) لدعم نتيجة يرغب في ترسيخها لدى المتلقي (ق2)، ما يجعل الخطاب الحجاجي فعلًا موجهًا للتأثير العقلي والإقناعي.

إذن فالحجاج عند ديكرو وأنسكمبر إنجاز لعملين، هما: عمل التصريح بالحجة من ناحية، وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى، سواء كانت النتيجة مصرحًا بها أو مفهومة من (ق1). ومن الأمثلة التي يضربها الباحثان على هذا الرأي في الحجاج قولهما إن في قولنا: "لنخرج للنزهة بما أن الطقس جميل"، أو في قولنا: "الطقس جميل، فلنخرج للنزهة"، يكون (ق1) هو "الطقس جميل"، و(ق2) هو "فلنخرج للنزهة". ثم يضيفان أنه بالإمكان أن يكون

---

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه، صفحة 22.
[2]- يُنظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، صفحة 33.
[3]- شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، صفحة 360.

(ق2) هو النتيجة ضمنيًا، لكن بشرط أن يكون التوصل إلى هذه النتيجة سهلًا يسيرًا، والمثال على ذلك هذا الحوار:

-هل ترغب في مرافقتي لنشاهد هذا الشريط السينمائي؟.

-لقد شاهدته.

حيث يكون الجواب "لقد شاهدته" دليلاً موصلًا إلى الجواب "الضمني". ب "لا"، على هذا النحو، يكون الخطاب المبني على تتابع ق1 وق2 تتابعا صريحًا أو ضمنيًا في شكل سلسلة من الحلقات الحجاجية الممكنة، التي قد تكون متأتية من بنية الأقوال اللغوية، بحيث لا مضمون من هذه الأقوال الإخباري. وفي ذلك يقول أزفالدديكرو اسكمبر: "إنه من أجل أن يكون (ق)1 حجة، تفضي (ق2). لا يكفي أن يكون في (ق1) من الحجج في مستوى المضمون ما يفضي إلى التسليم ب (ق2)، إذ ينبغي أن تشمل البنية اللغوية (ق1) على بعض الشروط التي من شأنها أن تؤهل ق1 هذا لكي يمثل في الخطاب ما حجة تفضي إلى (ق2).[1]

"يشير ديكرو إلى أن الحجج بمختلف أنواعها تعرف ترتيبًا معينًا يكون متسلسلًا في الدرجة، بحيث يكون الحكم أو الاختيار من قبل المعني مؤسسين على درجتي القوة أو الضعف، وليس الصدق أو الكذب"[2].

يؤكد ديكرو أن الحجاج لا يقوم على ثنائية الصدق أو الكذب، بل على مبدأ درجات القوة والضعف، حيث ترتب الحجج وفق تأثيرها الإقناعي، مما يجعل الخطاب الحجاجي مجالًا للتفاوض العقلي لا للتحقق المنطقي فقط.

الحجاج هو علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب، تنتج عن عمل المحاجة، ولكن هذا العمل محكوم بقيود لغوية، فلا بد أن تتوفر فيه الحجة (ق1) شروط محددة حتى تؤدي إلى (ق2). إذن، الحجاج مسجل في بنية اللغة ذاتها، وليس مرتبطًا بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغية مقامية[3].

[1]- ينظر عبد الله صولة،"الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية"، ص 33-34.
[2] - محمد سالم محمد الأمين،"الطلبة الحجاج في البلاغة المعاصرة"، ص 194.
[3]- ينظر شكري المبخوت، "نظرية الحجاج في اللغة"، ص 360-361.

يتجلى الحجاج كآلية دلالية داخلية مرتبطة ببنية اللغة نفسها، لا بمحتواها الخبري أو سياقها المقامي، مما يجعل المحاجة فعلًا لغويًا مضبوطًا بشروط تركيبية ومعجمية تؤسس لقوة الإقناع في الخطاب.

نجد هذا الطرح اللساني عند" أزفالد ديكرو"(o.ducrot) حيث ينطلق أولاً من تأكيد الأبعاد التداولية والدلالية الكامنة في اللغة التواصلية اليومية، وكذا اللغة الإبداعية، لأن اللغة في معناها العام "قيد" يضبط نسق ترتيب الأقوال وترابطها[1].

يركز ديكرو على أن اللغة ليست أداة للتعبير فحسب، بل نظام تداولي ودلالي يوجه وترتيب الأقوال وترابطها، سواء في الخطاب اليومي أو الإبداعي، ما يعكس وعيه ببنية اللغة كأداة تحكم في إنتاج المعنى وتنظيم التفاعل.

" وقدّم ديكرو إلى جانب ذلك تحليلاً سماه "آلية المعنى"، يبين من خلاله أن الجملة في اللغة تدرس بالمكون اللغوي "اللساني" الذي يخصها بالدلالة، ثم يعالج هذه الدلالة بالمكون البلاغي الذي يخصها بمعنى هو معنى الملفوظ. ويقوم هذا المكون بدورين: الأول أن يعطي مخرجًا أوليًا تمهيديًا للمعنى، والثاني أن يقابل هذا المعنى الأول بالجديد في السياق الملفوظي، مما يرفض معرفة قوانين الخطاب"[2].

يظهر تحليل ديكرو عبر "آلية المعنى" تداخلاً دقيقًا بين البنية اللسانية والبعد التداولي، حيث لا يفهم المعنى إلا من خلال معالجة دلالته الأولية في ضوء السياق، ما يستدعي إدراك القوانين للخطاب وفهم المعنى المقصود بدقة.

"لقد حصر الباحثان درس الحجاج في نطاق دراسة اللغة، لا في البحث عما هو واقع خارجها. فعندها، إن إمكانيات التتابع الحجاجي تحدد من خلال عمل لغوي(Acte de langage) مخصوص هو عمل الحجاج(Acte dargumenter). وينقسم هذا العمل الحجاجي عند ديكرو، وفي بعض تواليفه الخاصة غير المشتركة، إلى عمل مقتضى(Acte présupposé) وعمل مفهوم(Acte sous-entendu). يقول:" إن الاقتضاء عمل

[1]- محمد سالم محمد الأمين، "الطلبة الحجاج في البلاغة المعاصرة"، ص 192.
[2]- خليفة بوجادي، "في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم"، بيت الحكمة،ط1،جامعة سطيف-الجزائر،2009، ص 111.

المقتضى هو إذن ذلك الذي يسميه فلاسفة اللغة مثل سيرل(Seale)"قضية" أو "مضمونًا"، أما المفهوم فإنه عمل"[1].

تحليل الحجاج على اشتغال اللغة من داخلها حيث يُبنى التتابع الحجاجي وفق منطق لغوي صرف، ويفصل بين الاقتضاء بوصفه مضمونًا دلاليًا ضروريًا والمفهوم كفعل حجاجي وظيفي، مما يعكس بدقة منهجه في تفكيك مكونات الخطاب.

إن اللغة تحمل بُعدًا حجاجيًا في جميع مستوياتها، فهي - عند ديكرو – "وسيلة سجالية(polémique) في جوهرها، ومسرح لظهور "المُقتضى" باعتباره شكلًا من الأشكال الحجاجية الكامنة فيها. يقول في هذا الصدد: ليس المُقتضى حدثًا بلاغيًا مرتبطًا بالقول، وإنما هو متغرس في اللغة نفسها، وهو ما يدعونا ضرورةً إلى أن نعتبر اللغة - بصرف النظر عن استعمالاتنا المختلفة لها ،مسرح محاورة والمواجهة بين الذوات البشرية". ومعلوم أن المُقتضى، باعتباره أداة حجاج ناجعة، يحصل - في رأي ديكرو - من التركيب، وهو أمر بديهي، ولكنه يحصل - في رأيه أيضًا - من الكلمة[2].

يُبرز ديكرو طبيعة الحجاجية العميقة للغة، حيث يرى أن المُقتضى ليس مجرد أثر بلاغي أو استعمال عَرَضي، بل مكون أصيل من مكونات اللغة، متجذر في تركيبها وحتى في مفرداتها، ما يجعل كل خطاب ساحةً للحوار وصراعًا دلاليًا بين الذوات.

"خرجت نظرية الحجاج في اللغة من رحم نظرية الأفعال اللغوية التي قدّمها أوستين وسيرل ضمن مجال الأفعال الكلامية(actes de langageles)، ثم قام ديكرو بتطوير آرائهما المتعلقة بالأفعال اللغوية"[3].

تُعدّ نظرية الحجاج امتدادًا وتطويرًا لنظرية الأفعال الكلامية، حيث انطلق ديكرو من تصورات أوستين وسيرل، ليوسّع نطاق التحليل، جاعلًا من الفعل اللغوي أداة حجاجية تُبنى داخل اللغة ذاتها، لا مجرد أداة وظيفية في التواصل.

1- عبد الله صولة، "الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية"، ص 34-35.
2- المرجع نفسه، ص 35.
3- نور الدين بوزناشة، الحجاج في الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي: دراسة تقابلية مقارنة، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين سطيف، 2015-2016، ص 153.

ظهرت عدة توجهات حاولت وصل الحجاج بقطاعات مختلفة من العلوم الإنسانية، وخاصة المنطق واللسانيات في صورتها الجديدة[1].

تكشف التوجهات الحديثة في دراسة الحجاج عن انفتاحه على مجالات عديدة في المنطق واللسانيات الحديثة، مما أتاح مقاربة شمولية للخطاب تربط بين بناء المعنى وآليات التفكير.

يحصل التوجيه على صعيد الخطاب نفسه، وهو الأهم بنظرية ديكرو ، فبأن يكون (ق1) على نحو ما رأينا مؤديًا بالضرورة إلى ظهور (ق2) صراحة أو ضمنيا. وإذا كان (ق2) هذا ضمنيًا، فإن ضمنيته هذه تكون إمّا على سبيل الاقتضاء أو على سبيل المفهوم خاصة. على أن التوجيه هو حقيقته هو توجيه للسامع والخطاب معًا.يقول الباحثان إن "المحاجة من أجل حصول النتيجة (ن) بواسطة أي استخدام (أ)على أنها ينبغي أن تؤدي بالمتلقي إلى استنتاج (ن)، وجعل (أ) تكمّل الاعتقاد (ن).

يرى ديكرو أن التوجيه في الخطاب هو جوهر العملية الحجاجية، حيث يُبنى (ق1) بطريقة تؤدي بالضرورة إلى استنتاج (ق2)، سواء أُعلن صراحة أو ضُمن اقتضاءً أو مفهومًا، ما يجعل من الخطاب نفسه أداة إقناع، ومن الحجة وسيلة لتأسيس الاعتقاد في ذهن المتلقي.

دلالة الكلام – وحتى الكلمة – ليست التوجيه فحسب، وإنما التوجيه جزء من دلالة ذلك الكلام وبعض منها؛ فقد يكون لهذا الكلام، بحسب المواقف التأويلية التي نقفها منه، دلالات تتجاوز الحجاج والتوجيه وتفيض عنهما.

وسنسمي نحن ذلك الجزء من دلالة الكلام أو الكلمة: "الدلالة الحجاجية" أو "المعنى الحجاجي" أو "الطاقة الحجاجية" أو "العمل الحجاجي" أو "الوقع الحجاجي" أو "الوظيفة الحجاجية."[2]

يشير إلى أن التوجيه ليس سوى بُعدٍ من أبعاد دلالة الخطاب، فالكلام قد يحمل طاقة حجاجية كاملة تتجلّى بحسب السياق والتأويل، مما يمنح اللغة غنى دلاليًا يتجاوز الحجاج المباشر نحو وظائف متعددة تتفاعل مع المقام و التلقي.

---

[1]- يُنظر: رشيد الراضي، التداولية الحجاجية اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، مجلة عالم الفكر، العدد 1، المجلد 34، يونيو-سبتمبر 2005، ص 213.

[2]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية، ص 36.

"ولقد أكد كلّ من ديكرو وأنسكومبر من استقلالية البنية التركيبية للغة عن معطيات النشاط التلفظي، معتبرين أن مهمة الدلاليات هي إبراز هذه القضية ومعالجتها في سياق الدراسة اللسانية، وناظرين إلى أن معطيات السياق التداولي ووقائع النشاط التلفظي لا تنفصل عن اللغة الطبيعية التي ينبغي استحضارها أثناء الوصف الدلالي للملفوظات"[1].

يشدد ديكرو وأنسكومبر على ضرورة التمييز بين البنية التركيبية للغة ومعطيات النشاط التلفظي، مع التأكيد على أن الدلالة لا تُفهم إلا بدمج السياق التداولي ضمن التحليل، ما يمنح الدراسة اللسانية عمقًا يجمع بين البنية والاستعمال.

"يتنزل الحجاج عند ديكرو وأتباعه في صميم المدرسة البراغماتية، التي عُرف روادها بأنهم ينكبّون على الأشكال الدلالية، مقابل انكباب البنيويين والنحّاة التوليديين على الأشكال الدالة، ويعتبرون المقام اللغوي في مقابل اهتمام الدراسات السابقة بالنظام اللغوي، وينظرون في القول، بعد أن كان النظر اللغوي يبحث عن الجهاز المختفي وراء القول، ويتساءلون في علاقة اللغة بالكلام وجدوى التفريق بينهما، بعد أن كان اللغويون جازمين في إبعادهم إنجاز الكلام عن الدراسة العلمية"[2].

ينقل ديكرو وأتباعه مركز الاهتمام من بنية اللغة المجرّدة إلى الفعل اللغوي في سياقه، منسجمين مع الطرح البراغماتي الذي يرى أن المعنى لا يُستخلص من النظام وحده، بل يعيد الاعتبار الكلام بموضوع مشروع للدراسة العلمية.

"حصر المؤلفان الموجهات - بالمعنى اللساني لهذا المصطلح - في أربعة، هي:

1. التوجيه الإثباتي: (modalité assertive) ومن شأنها أن يُستخدم في أي حجاج، ويُعدّ من ركائز الحجاج، إذ يُستخدم لإرساء قناعات أو تأكيد مواقف داخل الخطاب، ويفعل في مختلف السياقات الحجاجية لدعم الحجة وتعزيز سلطة المتكلم، عبر تقديم أقوال تُبنى على الإثبات لا على النفي أو الشك.

2. التوجيه الإلزامي :(modalité injonctive) وصيغته اللغوية هي الأمر، لكن ليس لهذه الصيغة قوة إقناعية، وذلك عكس ما قد يُعتقد، إذ يستمدّ الأمر طاقته الإقناعية من الشخص

[1]- آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي: دراسة تداولية، الدار المتوسّطية للنشر، ط.1، الجمهورية التونسية، 1437هـ / 2016م، ص 93.
[2]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه، ص 23.

الآمر وليس من ذات الصيغة، ولهذا يتحول الأمر إلى معنى الترجي حين لا يكون الآمر مؤهّلًا شرعيًا لتوجيه الأوامر. فالقوة الإقناعية لا تكمن في صيغة الأمر ذاتها، بل في موقع المتكلم وشرعيته، فالأمر يفقد طابعه الإلزامي إذا افتقد المتكلم السلطة.

3.التوجيه الاستفهامي :(modalité interrogative) وهي ذات قيمة خطابية جليلة، إذ يفترض السؤال شيئًا تعلّق به ذلك السؤال، ويوحي بحصول إجماع على وجود ذلك الشيء. كما أن اللجوء إلى الاستفهام قد يهدف أحيانًا إلى حمل من وُجّه إليه الاستفهام على إبداء موافقته، إذا أجاب على ما جاء به الاستفهام. ومن هنا كانت أهمية الاستفهام في نوع الخطاب المشاجري(judiciaire) ، إذ يحمل هذا التوجيه بُعدًا حجاجيًا قويًا، لأنه لا يُطرح لطلب المعلومة فقط، بل لتوجيه المتلقي نحو موقف معيّن.

4.التوجيه بالتمني :(modalité optative) ومداره على الصيغ المفيدة تمنيًا، وهذه الصيغ يُستفاد منها الاعتماد على فكرة ما أو رأي ما تُقِرُّ به المجموعة. مثال: "ليته ينجح"، فهو يستند إلى رأي، وهو أن النجاح مرغوب فيه[1].

يعتمد هذا التوجيه على الصيغة التي تُعبّر عن الرغبات أو الأماني، مثل "ليته ينجح"، حتى تروّج لفكرة معينة ضمنيًا، بأن النجاح أمر مرغوب فيه.

التداولية المدمجة(pragmatique intégrée) :

"تعد نظرية التداولية المدمجة التي صاغها ديكرو وزميله بمثابة تجلٍ للمنطق الطبيعي الذي يتلاءم مع اللغة الطبيعية ومقتضياتها وخصائصها. وتتسم هذه النظرية بكونها نظرية لسانية تدرس الحجاج في اللغة باعتباره ظاهرة لغوية، فالحجاج بالنسبة إلى هذا اللغوي فعل لغوي ووظيفة أساسية للغة الطبيعية، ثم إنه مؤشر له في بنية اللغةإلى جانب هذا، هناك أدوات وروابط لغوية يتمثل دورها في إنجاح العملية الحجاجية"[2].

نظرية التداولية المدمجة لديكرو وأنسكومبر تؤكد أن الحجاج ليس مجرد ظاهرة خارجية عن اللغة، بل هو جزء من بنية اللغة نفسها، حيث يعتمد على أدوات لغوية وروابط لتسهيل العمليات الحجاجية، مما يجعل الحجاج فعلًا لغويًا مركزيًا في التواصل.

[1]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، ص 38.
[2]- رحمة توفيق، الحجاج اللغوي في الخطاب الإعلامي، ص 45.

"تعرف التداولية المدمجة، حسب المعجم الموسوعي للتداولية، بكونها نظرية دلالية تدمج مظاهر التلفظ في النسق اللساني، بمعنى "اللسان (langue) "عند دي سوسير 1968، وليست مظاهر التلفظ في بعض وجوهها سوى عوامل حجاجية تندرج في الأقوال، فتكيف تأويلها وفق غاية المتكلم. وقد درس ديكرو ألفاظًا وكلمات مخصوصة لها قيمة حجاجية"[1].

تدمج عناصر التلفظ في النظام اللساني وتعتبرها عوامل حجاجية تُكيّف تأويل الأقوال وفقًا لغاية المتكلم، مما يعكس تفاعل اللغة مع السياق والبنية التواصلية.

"إن ديكرو يفرّق بين معنيين للفظ "الحجاج :(argumentation) "المعنى العادي، والمعنى الفني الاصطلاحي. فالحجاج، موضوع النظر في التداولية، يُفهم بمعناه العادي بوصفه طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع ليكون خطابًا ناجعًا وفعّالًا. أما الحجاج بالمعنى الفني، فيدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب، والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية، بحيث تكون درجية (scalaire) أو قابلة للقياس بالدرجات، أي تكون واصلة بين سلالم"[2].

يميز ديكرو بذكاء بين الحجاج كفنّ تواصلي عام يُعنى بتأثير الخطاب، وبين الحجاج كمعطى لساني دقيق يتمثّل في علاقات دلالية مدرجة في اللغة ذاتها.

تعتبر التداولية المدمجة (pragmatique intégrée) أن القيمة الإخبارية للملفوظ قيمة ثانوية بالنظر إلى قيمة الملفوظ الحجاجية. من هذا المنظور، نرى أن "المجال التداولي هو قاعدة التركيبية الجامعة، حيث الإعراب والدلالية لا يحتلان إلا مواضع التجريد، دون توافق منطقي نظري ما لم يرتبطا بقاعدتهما المؤسسة"[3].

إن القيمة الإخبارية للملفوظ ليست سوى بُعدٍ ثانوي، إذ تحظى القيمة الحجاجية بالأولوية في فهم الخطاب، فالمعنى لا يُستكمَل إلا داخل المجال التداولي.

"يرى الباحثان، استنادًا إلى هذه النظرية، أن التداولية – أي شروط الاستعمال التخاطبي والمقامي للملفوظات – لا توجد إلا مدمجة في الدلالة، فهي ليست مخرجًا أخيرًا

[1]- صابر الحباشة، التداولية والحجاج: مداخل ونصوص، ص20.
[2]- صابر الحباشة، التداولية والحجاج: مداخل ونصوص، ص21
[3]- المرجع نفسه، ص23

لها. ومن ثم، يرفضان التصنيف التراتبي الخطي الذي تعتمده النظريات اللسانية التقليدية في مقاربتها للملفوظات"[1].

ينطلق الباحثان من تصوّر مغاير للسائد، حيث يعتبران أن شروط الاستعمال التداولي ليست لاحقة على المعنى، بل مدمجة فيه منذ البداية، ما يُفَوِّض التصنيف الخطي بين التركيب والدلالة والتداول.

تُعدّ هذه النظرية عند هذين الباحثين قفزة نوعية تدعو إلى إعادة النظر في الأوصاف النظرية للدلالة والتداول، وما يترتب عنها من تصنيفات للمعنى، وعلاقة المستويات بعضها ببعض، وما يمكن أن تُنشئه الوظيفة الحجاجية للغة[2].

تمثل قفزة نوعية في التفكير اللساني، إذ تعيد ترتيب العلاقة بين الدلالة والتداول، وتعيد تصنيف المعنى وفقًا لوظيفته الحجاجية، لكي تمنح اللغة بُعدًا وظيفيًا تواصليًا.

تُعارض التداولية المُدمجة في الدلالة تيارًا منطقيًا قائمًا على التصور الخطي للعلاقة بين التركيب(الإعراب)، والدلالة والتداول، حيث ترتكز على التركيب الذي يُعد أولها في قواعد التأليف بين المكونات اللغوية لتحديد نحويتها والحكم على الجملة بالصدق أو بالكذب[3].

تتصدى التداولية المُدمجة للتصور المنطقي الخطي الذي يفصل بين المستويات اللغوية، مُعتبرة أن المعنى لا يُبنى انطلاقًا من التركيب فقط، بل من تفاعلٍ مع السياق والدلالة والتداول منذ البداية.

إن هذا الحجاج الخطابي لا تحدده الاعتبارات المنطقية والخارجية، بل الاعتبارات المُثبتة داخل نسيج الأقوال وفي العلاقات بين مكوناتها. ومن هنا ميّز ديكرو بين الاستدلال العقلي raisonnement والحجاجargumentation ، حيث ارتبط الأول بالمنطق، بينما الثاني مدارُه على الخطاب. فالوظيفة الحجاجية التي تشكل وظيفة أولية في اللغة، وليست استعمالًا ثانويًا، وتقتضي حسب ديكرو وأنسكومبر" إنجاز تسلسلات استنتاجية للخطاب"[4].

---

[1]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، ط. 1، بيروت، لبنان، 1434هـ / 2013م، ص96

[2]- يُنظر: رحمة توفيق، الحجاج اللغوي في الخطاب الإعلامي، ص46

[3]- ينظر: شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص 353.

[4]- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 97-98.

يُؤكد الباحثان أن الحجاج الخطابي ينبع من داخل نسيج اللغة، لا من منطق خارجي مفروض عليها، ويفترق بذلك عن الاستدلال العقلي المرتبط بالمنطق الصوري.

"فالتداولية المُدمجة أولية لا تفصل بين البُعد التداولي والبُعد الدلالي في الخطاب، المظهر التداولي مُدرج في الدلالة. كما أنها تبحث في الجوانب التداولية المُسجلة في بنية اللغة"[1].

وترى أن البُعدين التداولي والدلالي لا ينفصلان، بل يتداخلان بشكل عضوي داخل الخطاب، حيث يُدمج المظهر التداولي في الدلالة ذاتها.

"نستنتج من خلال تعريف الحجاج في اللغة من منظور أزفالد ديكرو وزميله أنس كومبر أنه يقوم بإنجاز عملين: هما عمل التعريف بالحُجة من ناحية، والاستنتاج من ناحية أخرى، سواء أكانت النتيجة مُصرّحًا بها أو ضمنية.

فيتّضح إذًا أن الدور الذي تقوم به التداولية المُدمجة يتمثل في حصرها لدراسة الجوانب التداولية في اللغة ذاتها، وفي حصرها للحجاج هو الآخر داخل بنية اللغة التي تُؤدي وظائف حجاجية مختلفة تسمح بتوصيل رسالة معينة إلى المتلقي أو المستمع"[2].

يتجلّى دور التداولية المُدمجة في تركيزها على استكشاف الأبعاد التداولية والحجاجية الكامنة في اللغة نفسها، حيث يُنظر إلى الحجاج كوظيفة مدمجة في بنية اللغة تُساهم في توجيه رسائل التأثير.

[1]- عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع: نظرية وتطبيقية،دار الكنوز المعرفة، ط1، عمان، 1437ه_2016م ص 178-179.
[2]- رحمة توفيق، الحجاج اللغوي في الخطاب الإعلامي، ص 48.

المبحث الرابع: علاقة التداولية بالحجاج اللغوي:

ظهر مصطلح(pragmatique)لأول مرة على يد تشارلز موريس عام 1938 ليدل على علاقة العلامات بمفسريها، إذ قسّم السيمياء (علم الإشارات) إلى ثلاثة أقسام هي:

1.النحو أو التراكيب(Syntax)ويعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع البعض.

2.الدلالة(Semantic)، وتدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو تحيل إليها.

3.التداولية(pragmatics)، وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها، أي علاقة العلامات بالناطقين بها، وبالتلقين، وبالظواهر النفسية والحياتية والاجتماعية المرافقة لاستعمال العلامات وتوظيفها[1].

إن التداولية تتجاوز البنية اللغوية لتعنى بفهم اللغة في سياقها الواقعي، حيث "تتفاعل العلامات مع نوايا المتكلمين وظروفهم الاجتماعية والنفسية.

"لكن مصطلح التداولية الذي استخدمه المتوكل، ومدحه الجيلالي دلاش بالخفة والسلاسة، هو الذي صار مهيمِنًا على استعمالات الدارسين"[2].

بفضل التداولية، وقع اختيار هذا المصطلح لما يتميز به من خفته وسلاسته، وساهم ذلك في ترسيخه وانتشاره بين الدارسين، مما يعكس أهمية المصطلح في شيوعه بين الأوساط العلمية.

ويحصر "ديكرو وجان ماري شيفر"(Jean marie Schaeffer) مفهوم هذا المصطلح في "أن التداولية، بما هي دراسة لكل ما ينصرف إلى معنى الملفظ، تحرص على طبيعة الوضع الذي يُستعمل فيه الملفوظ، وليس على مجرد البنية اللسانياتية للجملة المستعملة".

يُفهم أن التداولية، وفق تصور ديكرو وشيفر، تركز على الفعل اللغوي في سياقه، معتبرة أن المعنى لا يُستنبط من الجملة وحدها، بل من ملابسات الاستعمال ومقاصد المتكلم.

---

[1]- ينظر، كاظم جاسم منصور العزاوي، التداولية في الفكر النقدي، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، ط1، مصر، القاهرة، 2017، ص 28.

[2]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ، ص 65.

ألقت التداولية الإشارة إلى ما يجعل الخطاب فاعلًا، لأن الخطاب نسيج من اللغة المنجزة، أي الخطاب المستعمل في إطار تواصلي. ولهذا، فالدرس اللغوي التداولي يدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل، وليس بمعزل عنه، لأن اللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه[1].

تمنح التداولية للخطاب بُعده التفاعلي، إذ لا تنظر إليه كبنية لغوية فحسب، بل كفعل تواصلي حي لا يكتمل فهمه إلا ضمن سياقه وغاياته التواصلية.

"إن أخذ الحجاج في الاعتبار في الدراسات التداولية هو خصيصة للسنوات الثمانين من القرن العشرين، تشهد على ذلك البيبليوغرافيا وتوضحه المفاهيم، إذ يجمع "جون بليز غرايز" بين المنطق والحجاج، أما روبار مارتن فيدمج مفهوم "ممكن الوقوع" في نظريته الدلالية، وقد عاد "أوزفالد ديكرو" وأخيرًا إلى مفهوم المواضع لوصف آليات اللغة الحجاجية"[2].

تحوّل التداولية في دراسة اللغة خلال الثمانينات، حيث يركز على البعد الحجاجي في التواصل، مما يبرز تداخل المنطق والدلالة في بناء المعنى الحواري.

إن منظورًا يتبلور في أبحاث "أوزفالد ديكرو" الحالية عن الحجاج في اللغة، فإن البنى الحجاجية ليست ذات طبيعة منطقية، ولكنها لغوية بالأساس، داخلة في اللغة التي تحتوي في بنيتها على معلومات تتعلق بالحجاج. هذه المعلومات يمكن تشبيهها وظيفيًا لتحديد مسبق لتسلسلات خطابية[3].

يعكس منظور ديكرو أن الحجاج ليس مجرد مسألة منطقية خالصة، بل هو ظاهرة لغوية متجذرة في بنية اللغة، نفسها، مما يدل على أن الخطاب يتضمن آليات إقناعية ضمنية تُفعل أثناء التواصل.

إن أعمال "أوزفالد ديكرو وجون كلود أنسكمبر" تتميز عن النظريات التداولية الأخرى بمصادرة مخصوصة؛ إنهما يعتبران أن هذه القطبيات الحجاجية ليست مضافة إلى الملفوظ، ولكنها مسجلة في اللغة بوصفها أساسًا لكل دلالة. إن الحجاج في نظر هذين اللسانيين لم يَعد نشاطًا لسانيًا من بين أنشطة أخرى.

---

[1]- يُنظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية: دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن، 2014، ص 95.

[2]- صابر الحباشة، التداولية والحجاج: مداخل ونصوص، ص 16

[3]- ينظر: صابر الحباشة، لسانيات الخطاب: الأسلوبية والتلفظ والتداولية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 2010، ص 245

يرى ديكرو وأنسكومبر أن الحجاج ليس مجرد وظيفة تداولية تضاف إلى اللغة، بل هو مكون جوهري في بنيتها، بحيث تُبنى الدلالة انطلاقًا من قطبيات حجاجية مضمنة توجه التأويل داخل الخطاب.

إننا نريد أن نصل إلى القول إن الإخبارية في الواقع تُعد من درجة ثانية بالمقارنة مع الحجاجية، فبالرغم من وصفها للحقيقة، قد لا يكون إذن إقناعا لزعم أكثر جوهرية بممارسة ضغط في آراء الآخر[1].

الإخبار ليس غاية بحد ذاته، بل وسيلة حجاجية توظف للتأثير في الآخر، مما يجعل الحقيقة أداة ضمن استراتيجية إقناعية أعمق، تمارس من خلالها هيمنة فكرية مقنعة.

"رُبط الاتجاه التداولي للحجاج بنظرية أفعال الكلام والاستلزام الحواري، فالنص الأدبي ليس مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث، بل يهدف إلى تغيير وضع المتلقي عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية، وتغيير عن نظام معتقداته أو تعبير عن موقفه السلوكي من خلال ثنائية "افعل" و" لا تفعل."

ويعني هذا أن مفهوم التداوليات التحليلية، التي ظهرت في سنوات الخمسين من القرن العشرين مع أوستين، كما في كتابه نظرية أفعال الكلام (1962)، وسيرل في كتابه أفعال اللغة (1969)، عبارة عن أفعال كلامية تتجاوز الأقوال والملفوظات إلى الفعل، والإنجاز، والتأثير الذي يتركه ذلك الإنجاز"[2].

تكشف التداولية الحجاجية عن بُعد تفاعلي في النص الأدبي، إذ يتجاوز مجرد نقل القول إلى ممارسة تأثير فعلي على المتلقي، مما يجعل اللغة أداة إنجازية تُفعّل مواقف وسلوكيات لا تُختزل في الإخبار فقط.

يعد الحجاج أحد أهم أركان التداولية، إلى جانب نظرية الأفعال الكلامية؛ استعان ديكرو بمفهوم "المواضع" لوصف آليات اللغة الحجاجية، وقد ارتبطت نظرية الحجاج اللساني بالجوانب التداولية التي أصبحت تهتم بها البحوث التداولية.رأى أن اللسانيين اعتادوا النظر إلى الخطاب اللفظي الحجاجي كخطاب يتوفر على خاصيات بنائية وبرغماتية، من حيث

[1]- المرجع السابق، ص 246
[2]- جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص 52

رصد أفعال كلامية لها مرجعية أو سياق مشترك بين المتكلم والمستمع، مما يبرز القصدية والتأثير والفعالية[1].

يركز الحجاج التداولي على البعد التفاعلي للغة، بوصفها ممارسة تؤسّس لعلاقة على تأثير متبادل بين المتكلم والمخاطب، حيث تتجلى القصدية والفعالية ضمن سياقات تشاركية تحكمها مواضع حجاجية مضمّنة في البنية الخطابية.

"انطلق أوستين من ملاحظة بسيطة مفادها أن الكثير من الجمل التي ليست استفهامية أو تعجبية أو أمرية لا تصف –مع ذلك– أي شيء، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، وبالفعل لا تُستعمل هذه الجمل لوصف الواقع، بل لتغييره.فهي لا تقول شيئًا عن حالة الكون الراهنة أو السابقة، وإنما تغيّرها أو تسعى لتغييرها"[2].

بيّن أوستين أن وظيفة اللغة لا تقتصر على نقل الوقائع، بل تتعدّاها إلى إحداث أفعال وتغيير الواقع، مما يبرز أن الجانب الإنجازي للكلام بوصفه أداة تدخل فاعل في العالم، لا مجرد مرآة له.

"اقترح (أوستن) قسمًا ثانيًا من العبارات إلى جانب (العبارات الوصفية)، وهي (العبارات الإنجازية) التي لا يحكمها مقياس الصدق والكذب، ويتزامن النطق بها مع تحقق مدلولها. كما أن لهذه العبارات الإنجازية شروطًا أوضحها الدارسون، ولا تتحقق إنجازاتها إلا بها، وهي:

-أن يكون الفعل منتميًا إلى مجموعة الأفعال الإنجازية:(وعد، سأل، قال، حذّر، أوعد...)

-أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلم، أي إنها تمثل الفردية لمن يقولها.

-أن يكون زمن دلالتها المضارع شروط – كما ترى – تجمع بين المستويين النحوي والمعجمي، وغياب شرط واحد كفيل بتحويلها إلى عبارة، وهي وصفية.

[1]- يُنظر: آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي، ص 129.

[2] - روبول جاك مشلار، التداولية اليوم: علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت - لبنان، 2003، ص 30

يتميز الفعل الإنجازي عن الوصفي(الإخباري) بكونه عاكسًا للآثار التي يُنجزها كلامُنا، وهو فعل دقيق للغاية.ثم لاحظ (أوستن) بعد ذلك أنه يمكن تقدير فعل وفق الشروط المذكورة في العبارات الوصفية، نحو: "أقول الجو جميل"، لتصير إنجازية هي الأخرى"[1].

يكشف أوستن أن الفعل الإنجازي يتحدد بسياق إنتاجه وشروطه التركيبية والدلالية، فحين تتحقق هذه الشروط يتحول القول من مجرد وصف إلى فعل مؤثر، ما يبرز الطابع الحي والدينامي للغة في صُنع الواقع، لا وصفه فقط.

يجب أن تُستلزم هذه المفاهيم حتى يمكن أن تُفهم في أدق تحرياتها المتشابكة، وغالبًا ما يُؤخذ مفهوم الفعل الإنجازي في علاقته الوثيقة مع مفهوم الحدث[2].

إن فهم الفعل الإنجازي يقتضي ربطه بمفهوم الحدث، إذ يشكّل كل فعل لغوي لحظة تحوّل في الخطاب تُحدث أثرًا واقعيًا، مما يؤكد تداخل اللغة مع الفعل بوصفها قوة مُنتجة للمعنى والتحوّل معًا.

"وعليه، فكل العبارات الملفوظة إنجازية على نوعين:

1.**إنجازية صريحة مباشرة:** فعلها ظاهر، كالأمر، الحَضّ، الدعاء، النهي، بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم.

2.**إنجازية ضمنية غير مباشرة:** فعلها غير ظاهر، نحو: الاجتهاد مفيد، أي: أقول الاجتهاد مفيد = أمرك أن تجتهد، ونحو قوله تعالى: "وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور"، أي: أقول احذروا.

وميز فيها بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية، وهي:

-فعل قولي:(locutoie) يقابل التلفظ بالأصوات.

فعل صوتي: التلفظ بالتراكيب.

فعل تركيبي: استعمال التراكيب حسب دلالاتها، وهو فعل دلالي.

---

[1]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 95

[2]- يُنظر: فان دايك، النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، 2000، ص 227

-الفعل الإنجازي: (القول الفاعل،illocutoie)يحصر بالتعبير عن قصد المتكلم[1] من أدائه، كـ: يعد، يخير، يعجب، ينذر. ويشمل (الجانب التبليغي والجانب التطبيقي). ويفترق الفعل الإنجازي عن باقي الأفعال القولية بكونه يعكس قصد المتكلم، وينجز فعلاً حقيقياً بمجرد التلفظ به، جامعًا بين التبليغ والتأثير، ليحوّل اللغة إلى أداة فعل لا تقتصر على التعبير فقط".

-فعل تأثيري:(استلزامي،perlocutoire) يحصل حين يُغيّر الفعل الإنجازي من حال المتلقي بالتأثير عليه، كأن يُرعبه أو يجعله ينفعل. ويتميّز كل فعل من هذه الأفعال بتوفّره على قوة إنجازية، وهي "تفترض تزامنًا تامًا بين موضوع الملفوظية والمتلفظ"[2].

تتضح أشكال الفعل الإنجازي خصوصًا في الترسيمة التالية:

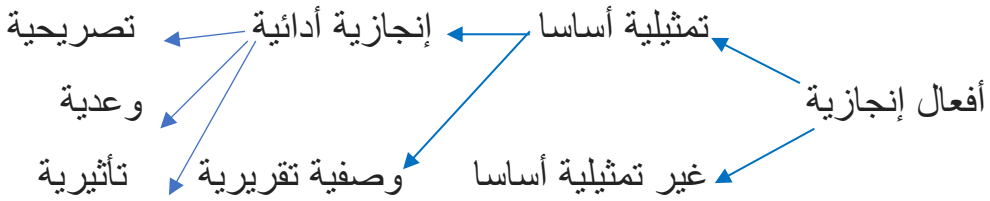

تتميّز هذه الأفعال بقدرتها على إحداث تغير فعلي في المتلقي لحظة التلفظ، إذ تحمل قوة إنجازية مباشرة تفترض تفاعلاً فوريًا بين المتكلم والمخاطب.

[1]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 96.
[2]- المرجع نفسه، ص 96-98.

المبحث الخامس: الآليات الإجرائية للحجاج اللغوي

1-العلاقات الحجاجية:

"إن الحجاج في هذه النظرية علاقة دلالية تربط بين الأقوال، بحيث يقوم الاشتغال الحجاجي على تقديم المتكلم لقول معين يُعتبر حُجة يستهدف من خلاله حمل المخاطب على القبول بقول آخر يُعد نتيجة، سواء كان هذا القول النتيجة صريحًا أو ضمنيًا. ولا تكتسب هذه الأقوال طبيعتها الحجاجية إلا ضمن سياق معين، فما يمكن أن يكون حُجة في هذا السياق قد لا يكون كذلك في سياق آخر، حتى ولو تعلّق الأمر بنفس المحتوى أو بنفس الحدث (fait) المُعبَّر عنه داخل القول"[1].

يُبرز هذا أهمية السياق في تحديد الطابع الحجاجي للأقوال، إذ إن ما يُعد حُجة في مقام معين قد يفقد فعاليته في مقام آخر، فالحجاج ليس في القول ذاته، بل في وظيفته داخل التفاعل الخطابي.

فالعلاقات الحجاجية هي تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، تُنجز من خلال متواليات من الأقوال، بعضها يُعد بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها هو بمثابة النتائج التي تُستنتج منها[2].

يقوم الحجاج على تنظيم منطقي للأقوال، حيث تُبنى النتائج انطلاقًا من حجج لغوية تُصاغ بعناية داخل الخطاب، مما يجعل البناء الحجاجي عملية استنتاجية.

2-المبادئ الحجاجية:

"وجود الروابط والعوامل الحجاجية لا يكفي لضمان سلامة العملية الحجاجية، ولا يكفي أيضًا لقيام العلاقة الحجاجية، فلا بد من ضامن يضمن الربط بين الحُجة والنتيجة. هذا الضامن هو ما يُعرف بالمبادئ الحجاجية، وهي تقابل مسلّمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصوري أو الرياضي"[3].

فالحجاج لا يتوقف على الروابط اللغوية فقط، بل يستلزم وجود مبادئ حجاجية تؤسس منطقيًا للعلاقة بين الحُجة والنتيجة.

---

[1]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 98.
[2]- يُنظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 16.
[3] - حافظ إسماعيلي العلوي، الحجاج: مفهومه ومجالاته، ص 65.

"يعود هذا المصطلح في أصله إلى الأدبيات الفلسفية، وهو في معناه الأول catégorisation، وتقسيم أنواع الميادين وأنواع الحجج المستعملة عادة في الخطاب. وهذا هو المعنى العام الذي من أجله صاغ أرسطو كتابًا كاملاً هو كتاب الطوبيقا(Topiques) ، وهي عند أرسطو - كما يقول بارت - ما تلتقي فيه أغلبية الاستدلالات الخطابية، فهي حينئذ النقطة المركزية التي تحوم حولها عملية نجاعة الخطاب"[1].

تبرز الجذور الفلسفية لمفهوم الطوبيقا باعتبارها إطارًا منهجيًا لتصنيف الحجج وأنواعها، وهي تمثل عند أرسطو قلب الاستدلال الخطابي، مما يجعلها أداة مركزية في تحقيق فعالية الإقناع داخل الخطاب.

-قسم بيرلمان المبادئ، التي هي المواضع، إلى صنفين كبيرين هما:

مواضع الكم :(lieux de quantité) هي المواضع المشتركة التي تُثبت شيئًا ما أفضل من آخر لأسباب كمية. الغالب فوق ذلك أن موضع الكم يشكل مقدمة كبرى مضمرة، إلا أنها بدونها يصبح الاستنتاج عديم الأساس[2]. وهي المواضع التي يقع الاحتكام في صلاحيتها إلى مقولة الكمية والعدد، فالكثرة أو القلة هي المعيار الذي على أساسه صيغ الموضع.يمكن أن نضرب مثالًا على ذلك بقول المشركين لمحمد صلى الله عليه وسلم: "نحن أكثر أموالًا وأولادًا وما نحن بمعذبين"، حيث تظهر الجملة الثانية في قول المشركين "وما نحن بمعذبين" بمثابة النتيجة للجملة الأولى "نحن أكثر أموالًا وأولادًا"، التي جاءت في شكل مقدمة يحكمها موضع "الأكثر أفضل من الأقل"[3]

اعتمادا على معيار الكثرة في تقييم الأفضلية، متجاهلين أن الكم لا يكون دائمًا دليلًا على الحق أو الصواب، فالحقيقة لا تُقاس بعدد الأتباع أو حجم المال.

مواضع الكيف :(lieux de qualité) تظهر في الحجاج، وهي تُقبل الإحاطة بها بسهولة حينما يُعترض على جدوى العدد. هذا يحدث مع المصلحين الذين يتمردون ضد الرأي العام[4]، فهي المواضع التي يُؤكَّد في الخطاب صلاحية شيء دون الآخر لأسباب كيفية

---

[1]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 82.
[2]- يُنظر: شاييم بيرلمان، لوسي أولبرخت تيتكا، المصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة، ترجمة محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط.1، جامعة بروكسل، 2023، ص 185.
[3]- يُنظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 84.
[4]- يُنظر: شاييم بيرلمان، لوسي أولبرخت تيتكا، ص 190.

لا دخل للكم فيها، بل إنها متفردة، وسبب تفردها هو قيامها على الوحدة، مثل الحقيقة التي يضمنها الله، فهي واحدة في مقابل آراء البشر المختلفة[1].

تبرز قيمة النوع، مؤكدًا أن الجودة والتفرد أحيانًا يفوقان الكثرة، كما أن الحقيقة الواحدة قد تعلو على جموع الآراء المتباينة.

حسب ديكرو وأنسكومبر، فإن الانتقال الخطابي من ملفوظ /حُجّة إلى ملفوظ/ نتيجة يتم بتطبيق جملة من المبادئ العامة، اختارا لها تسمية "المواضع"، مستحضرَين مفهوماً أرسطياً شهيراً هو .topoi والمواضع عندهما هي عماد الحجاج والخلفية التي ينبني عليها النشاط الحجاجي؛ إنها قواعد عامة ومقبولة جماعيًا (communément admises) تعكس الجهد المبذول من طرف المتكلم لتبرير وضعيّة ما، أو موقف، أو فعل، وجعله مقبولًا.الأمر الذي يعني أن كل علاقة حجاجية تتطلب وجود موضع بين الحُجّة والنتيجة، أي مسارًا مبررًا يُعتمد في الانتقال الحجاجي. لذلك "فإن اختيار الجملة في مقام معين دون غيرها يعني اختيار التطبيق موضعٍ ما دون غيره"[2].

يكشف الباحثان عن البنية العميقة للحجاج، إذ يعدّ الموضع الوسيط الضروري الذي يربط الحُجّة بالنتيجة، مما يبرز أن الخطاب الحجاجي ليس عشوائيًا، بل يُسند إلى منطق مقبول ومشترك.

"تُعرف المبادئ بأنها قواعد عامة تجعل حجاجًا خاصًا ما ممكنًا، ولها خصائص عديدة نذكر منها ما يلي:

أ. إنها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة.

ب. العمومية، فهي تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة والمتنوعة.

ج. التدرجية(la gradualité) ، إذ تُقيم علاقة بين محمولين تدريجيين أو بين سُلَّمين حجاجيين، مثل: العمل / النجاح.

---

[1]- يُنظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 85.

[2]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 99.

د. النسبية، فإلى جانب السياقات التي يتم فيها تشغيل مبدأ حجاجي ما، هناك إمكان إبطاله ورفض تطبيقه باعتباره غير وارد أو غير ملائم للسياق المقصود، أو يتم إبطاله باعتماد مبدأ حجاجي آخر مناقض له؛ فالعمل يؤدي إلى النجاح، ولكنه قد يؤدي إلى الفشل في سياق آخر إذا زاد عن الحد المطلوب، وإذا نُظر إليه على أنه تعب وإرهاق وإهدار للطاقة"[1].

تظهر مجموعة من المبادئ، فالحُجّة التي تُقبل في موضع قد تُرفض في موضع آخر إذا تغيّر منظور التأويل أو أُقحم مبدأ مضاد.

إذا نظرنا في المثالين التاليين:

-أنا متعب، إذًا أنا بحاجة إلى الراحة.

-سينجح زيد لأنه مجتهد.

فإننا نقول إن المبدأ الحجاجي (Topos) الموظف في الجملة الأولى هو:

- "بقدر تعب الإنسان تكون حاجته إلى الراحة"[2].

"كل علاقة حجاجية تتطلب وجود موضع بين الحُجّة والنتيجة، أي مسارًا مبررًا يُعتمد في الانتقال الحجاجي"[3].

يعدّ رابطًا أساسيًا في البنية الحجاجية، فهو الذي يمنح العلاقة بين الحُجّة والنتيجة مشروعيتها، ويجعل الانتقال من إحدى القضيتين إلى الأخرى مقبولًا ومقنعًا.

3-الاتجاه الحجاجي:

"إذا كان الحجاج يقتضي تسلسلات خطابية معينة وأشكالًا من التتابع تقود إلى استنتاجات، فإن التوجيه الحجاجي يعني إسناد اتجاه معين لقول ما بغية بلوغ نتائج محددة. ولا يخفى أن هذا التوجيه الذي يوسع أو يضيق الاحتمالات الحجاجية ليقودها في اتجاه معين، تحدده البنية اللغوية للخطاب. هذا الأخير يتضمن قرائن حجاجية (marqueurs argumentatifs) تشكل وسائل لغوية مختلفة يوظفها المتكلم لتوجيه خطابه وتنظيم العلاقات في حجاجه"[4].

---

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 31.

[2]- أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ص 66–67.

[3] - أمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي: دراسة تداولية، ص 95.

[4]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 99.

وعيً المتكلم بتحكمه في مسار الخطاب. حيث يستثمر البنية اللغوية والقرائن المتاحة لتضييق دلالة القول وتوسيعها بما يخدم هدفه الإقناعي، ويحكم بنيته الحجاجية.

تحتوي اللغة عند ديكرو على عناصر حجاجية بحتة، فإن التوجيه الحجاجي يعني إسناد اتجاه معين لقول ما بعد بلوغ نتائج محددة. فإن التوجيه يضيق الاحتمالات الحجاجية، حيث يقودها في اتجاه معين. كل خطاب يحدد بنية لغوية يتضمن قرائن حجاجية تشكل وسائل لغوية مختلفة يوظفها المتكلم لتوجيه خطابه وتنظيم العلاقات في حجاجه. والحُجّة قد تُوجّه لتعزيز النتيجة أو دحضها بدرجات متفاوتة. وإذا كان الملفوظ يتكون من أكثر من حُجّة، فإن هذه الحجج إما أن تشترك في توجيهها تعزيزًا أو دحضًا، وإما أن تتباين، فيكون بعضها معززًا والبعض الآخر داحضًا. وفي الحالة الأولى تُسمى حججًا متساندة، وفي الحالة الثانية تُسمى حججًا متعاندة. وظيفة الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر هي التوجيه الحاصل من دلالة الملفوظ، والذي يكون في مستويين: مستوى السامع ومستوى الخطاب نفسه، خاصة مع ما بين المستويين من تداخل[1].

يبرز مدى تعقيد التوجيه الحجاجي في الخطاب، حيث تتضافر الوسائل اللغوية لتحديد مسار الإقناع، وتتنوع الحجج بين متساندة ومتعارضة، بما يعكس وعي المتكلم بتركيب التأثير على المتلقي وتفاعل المستويات داخل الخطاب.

نظريّة السلالم الحجاجيّة(Échelle argumentative) :

"يقول ديكرو: " إن أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة ترتيبيّة للحجج، نسميه سلّمًا حجاجيًّا". مما يعني أن الحجج، حينما تتفاوت ضمن نفس الحقل الحجاجي، تكون سلّمًا حجاجيًّا"[2].

يشير إلى ترتيب الحجج وفق قوتها ضمن نفس الحقل الحجاجي، وهذا ينتج سلّمًا حجاجيًّا، وهو ما يبرز أهمية التدرّج المنطقي في الإقناع.

"لاحظ ديكرو (1980)، وهو يشرع في تحديد مفهوم السلالم الحجاجيّة، أنَّ كثيرًا من الأفعال القولية ذات وظيفة حجاجيّة، فتوجه المتلقي نحو نتيجة معينة. وأن لهذه الوظيفة

[1]- ينظر: أمل يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي: دراسة تداولية، ص 96.
[2]- عبد اللطيف عادل، "بلاغة الإقناع في المناظرة"، ص 101.

علامات في بنية الجملة نفسها، حيث إن القيمة الحجاجية للمقولة لا تنتج فقط من المعلومات التي تحملها"[1].

يشير ديكرو أيضًا إلى أن الوظيفة الحجاجية للقولة تتجلى ليس فقط في محتواها، بل أيضًا في بنيتها اللغوية. وهذا يعني أن بناء الجملة يساهم في توجيه المتلقي نحو استنتاج محدد.

"السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبيّة للحجج المنتمية إلى فئة حجاجية واحدة، بحسب القوة الحجاجية لكل حجة. ومعلوم أن الحجج اللغوية متفاوتة في قوتها الحجاجية، فهناك الحجة الضعيفة، والحجة الأضعف، وهناك الحجة القوية، والحجة الأقوى. أي من الأضعف إلى الأقوى صعودًا، ومن الأقوى إلى الأضعف نزولًا. ويكون الترتيب هكذا: من الأضعف، إلى الضعيف، إلى القوي، إلى الأقوى. الحجج اللغوية، بخلاف البراهين المنطقية، غير متساوية في قوتها وغير متماثلة من حيث طبيعتها"[2].

يبين مفهوم السلم الحجاجي أن الحجج اللغوية تتفاوت في قوتها، بخلاف البراهين المنطقية التي تتسم بالتساوي، حيث تعتمد على ترتيب الحجج من الأضعف إلى الأقوى لتحقيق تأثير تدريجي.

"يعد السلم الحجاجي عنصرًا مهمًا ضمن مقتضيات النظرية الحجاجية اللسانية، تظهر هذه النظرية من خلال إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول الحجة (ق) ونتيجته (ن). ويقصد بالتلازم أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة للمتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة، مع الإشارة إلى أن النتيجة قد تبقى ضمنية"[3].

يبرز أهمية العلاقة التلازمية بين الحجة والنتيجة، إذ لا تكتسب الحجة قيمتها إلا باتصالها بالنتيجة.

---

[1]- محمد طروس، "النظرية الحجاجية من خلال دراسات بلاغية ومنطقية ولسانية"، ص 94.

[2] - أزفالد ديكرو، "السلميات الحجاجية"، ترجمة الأستاذ أبو بكر العزاوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط 1، فاس، المغرب، 2020، ص 19.

[3]- رحمة توفيق، "الحجاج اللغوي في الخطاب الإعلامي"، ص 49.

"العلاقة التي تربط بين الحجة والنتيجة هي تُدعى (بالعلاقة الحجاجية)، وهي تختلف بشكل جذري عن علاقة الاستلزام أو الاستنتاج المنطقي. ويمكن أن نرمز لها على الشكل التالي: ح ⟵ن"[1].

تبرز العلاقة الحجاجية خصوصية التفاعل الخطابي حيث تقوم على الإقناع لا على البرهان العقلي الصارم، ما يجعلها تختلف جوهريا عن الاستنتاج المنطقي الذي يقوم على قواعد ثابتة.

السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج، يمكن أن نرمز لها كالتالي:

ن: النتيجة

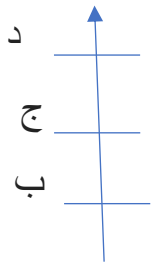

ن و ج و د هي حجج وأدلة تخدم النتيجة ن.

فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معينة، فإن هذه الحجج تنتمي آنذاك إلى السلم الحجاجي نفسه. فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة ويتسم السلم بالسمتين التاليتين:

أ. كل قول يرد في درجة ما من السلم يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنسبة ل (ن).

ب. إذا كان القول ب يؤدي إلى النتيجة ن، فهذا يستلزم أن ج أو د الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح.فإذا أخذنا الأقوال الآتية:

1. حصل زيد على الشهادة الثانوية.
2. حصل زيد على شهادة الإجازة.
3. حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 20.

فهذه الجمل تتضمن حججًا تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية وتنتمي كذلك إلى نفس السلم الحجاجي. فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة من قبيل "كفاءة زيد" أو "مكانته العلمية"، ولكن القول الأخير هو الذي سيرد في أعلى درجات السلم الحجاجي. وحصول زيد على الدكتوراه هو بالتالي أقوى دليل على مقدرة زيد ومكانته العلمية.

يمكن الترميز لهذا السلم كما يلي: ن = الكفاءة العلمية

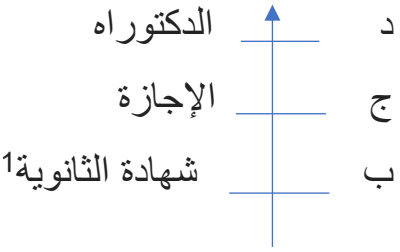

يعكس المثال تدرج الحجج ضمن نفس السلم حيث تتفاوت في قوتها وصولًا إلى أقواها، ما يؤكد أن ترتيب الحجج يعزز من فاعلية الإقناع ويوجه المتلقي نحو نتيجة قد تكون ضمنية ككفاءة زيد.

قانون السلم الحجاجي: أهم هذه القوانين ثلاثة:

1.قانون النفي: إذا كان قول ما مستخدمًا من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإن نفيه (أي ~أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة. وبعبارة أخرى، إذا كان أ ينتمي إلى الفئة الحجاجية بواسطه ن، فإن ~أ ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة لا-ن. ويمكن أن نمثل لهذا بالمثالين التاليين:

-زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.

-زيد ليس مجتهدًا، إنه لم ينجح في الامتحان[2].

فإذا قبلنا الحجة الواردة في المثال الأول، وجب أن نقبل كذلك الحجة الواردة في المثال الثاني.

2.قانون القلب: يرتبط هذا القانون أيضًا بالنفي، ويعد تتميمًا للقانون الأول. مفاده أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس السلم للأقوال الإثباتية. بمعنى آخر، إذا كان أ أقوى من أ بالقياس إلى النتيجة ن، فإن ~أ أقوى من ~أ بالقياس إلى لا-ن. ويمكن التعبير عن هذه

[1]- ينظر، حافظ اسماعيلي العلوي، الحجاج: مفهومه ومجالاته، ص 60.
[2]- ينظر، المرجع السابق، ص 59-60.

الفكرة بصيغة أخرى، فنقول: إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة. ويمكن أن نرمز لهذا بواسطة السلمين الحجاجيين التاليين:

لا ~ن

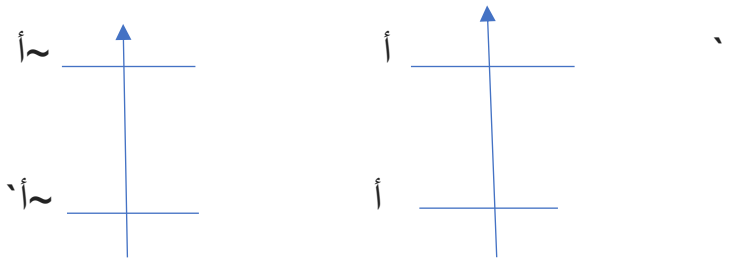

ولنوضح هذا بالمثالين التاليين:

-حصل زيد على الماجستير، وحتى الدكتوراه.

-لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير، في حين أن عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى دليل على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه.

وهذا يفسر لنا أيضًا لحن الجملتين التاليتين أو شذوذهما وغرابتهما على الأقل:

-حصل زيد على الدكتوراه بل حصل على الماجستير.

لم يحصل زيد على الماجستير بل لم يحصل على الدكتوراه[1].

يشير قانون النفي والقلب في السلم الحجاجي يشير إلى أن ترتيب الحجج يتغير عند النفي للنتيجة أو قلبها، ما يستدعي إعادة ترتيب وفق الاتجاه المعاكس. وهو ما يؤكد مرونة البنية الحجاجية.

3. قانون الخفض: يوضح قانون الخفض (Loi d'abaissement) فكرة ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويًا للعبارة "moins que". فعندما نستعمل جملًا من قبيل:

-الجو ليس باردًا.

-لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل.

[1]- ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 22-23.

فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قد كان شديدًا في (المثال الأول)، أو أن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل في (المثال الثاني). وسيؤول القول الأول على الشكل التالي:

-لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل، وتتجلى صعوبة صياغة هذه الوقائع في أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، ولا يتموقع أيضًا في سلمٍ تدريجيّ موضوعيّ يمكن تعريفه بواسطة معايير فيزيائية. فلا تندرج الأقوال الإثباتية من نمط "الجو بارد" والأقوال المنفية من نمط "الجو ليس باردًا" في نفس الفئة الحجاجية ولا في نفس السلم الحجاجي. ومع ذلك، فقد اقترح أحمد المناطقة المعاصرين صياغة تقريبيّة لهذا القانون، وهي كالتالي: "إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها".

ويرتبط مفهوم السلم الحجاجي بمفهوم آخر هو مفهوم "الوجهة" أو "الاتجاه الحجاجي"(lorientation argumetation)، الذي يمكن من إنشاء فعل حجاجي. فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي. فإذا كان القول أو الخطاب معلما[1] (marque).

نستنتج الألفاظ والمفردات، بالإضافة إلى السياق التداولي والخطابي العام المتعلق بالتعليمات المحددة للاتجاه الحجاجي.

4.**العوامل الحجاجية** :**(les opérateurs argumentatifs)** هي عناصر لغوية إسنادية نحوية أو معجمية تربط بين مكونات القول الواحد، كالحصر والنفي والشرط. ووظيفتها هي حصر الإمكانات الحجاجية (potentielités) لمحتوى الملفوظات وتحويلها، مثل صيغ "presque" / "peu" :في اللغة الفرنسية[2]. تسهم العوامل الحجاجية في تضييق وتوسيع الأفق الحجاجي للملفوظ، إذ تفعل البنية اللغوية لخدمة الإقناع، مما يجعلها أداة حقيقية لتوجيه التأويل وتقوية الحجة داخل الخطاب.

فهي "عناصر لغوية إسنادية نحوية أو معجمية تربط بين مكونات القول الواحد"، والعوامل الحجاجية لا تربط بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة من الحجج، ولكنها تقوم بحصر

[1]- ينظر المرجع السابق، ص 24-25.
[2]- ينظر عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 100.

وتقييد الإمكانات الحجاجية لقول ما، مثل الحصر والنفي التي تدخل على الإسناد أو مكونات معجمية مثل "ربما"، "كاد"، "قليلاً"، "كثيرًا"، إلى آخره.

تعرف العوامل الحجاجية بأنها أهم وظائف التي ترسم المسار الحجاجي الضامن للوصول إلى النتيجة، باعتبارها قادحًا ومنشطًا للمواضع، حيث لا يضيق من احتمالات المحاجّة المسجلة في حملة من الجمل، ولكنها تقيدها بمسارات تربط بين الحجة والنتيجة. وهذا يصبح للفعل الحجاجي شبكة المواضع التي تمثل مسارات حجاجية ينبغي اتباعها لبلوغ نتيجة ما[1].

تبرز العوامل الحجاجية كآليات فاعلة في توجيه مسار الخطاب نحو نتيجة محددة، إذ تضبط العلاقة بين الحجة والنتيجة، وتحول المحاجة إلى فعل منظم.

أما العوامل الحجاجية، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية، (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما[2].

أدرج ديكرو مفهوم العامل الحجاجي لأول مرة في مقاله المعنون بـ "Note sur l'argumentation et l'acte argumenter" المنشور سنة 1982، ثم فصل فيه القول بعد ذلك في مقاله المنشور سنة 1983 والذي يحمل عنوان "OPérateur argumentatifs et visée argumentative". ولنوضح مفهوم العامل الحجاجي بشكل أكثر، ندرس المثالين التاليين:

-الساعة تشير إلى الثامنة.

-لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة.

فعندما أدخلنا على المثال الأول أداة القصر "لا إلا" وهي عامل حجاجي، لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بين المثالين بخصوص القيمة الإخبارية أو المحتوى الإعلامي، ولكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية. يمكن أن يصاغ هذا المبدأ بصياغات تعبيرية أخرى:

- كلما كان الإنسان متعبًا، وكان بحاجة إلى الراحة.

-يكون الإنسان بحاجة إلى الراحة بمقدار ما يكون متعبًا.

[1]- ينظر أمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي، دراسة تداولية، ص 97.
[2]- ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 27.

نشير إلى أن اللغوي السويسري "ألان براندوني" (A. Berrendonner) صاغ هذه المبادئ صياغة استلزامية على الشكل التالي: "إذا... فإن"، لكن ديكرو انتقد هذه الصياغة واقترح صياغة أخرى ذات طابع تدريجي، وذلك بالاعتماد على قيمتي "زيد+" و"ناقص-"، بحيث عبر عنهما بهذا الشكل:

"La promenade est agréable ≠ il fait beau".

ونحن ترجمناها على النحو التالي:

-بقدر ما يكون الجو جميلًا، تكون النزهة محبذة.

أما المثال الآخر على مبدأ حجاجي من قبيل "الاجتهاد يؤدي إلى النجاح" أو "تكون فرص نجاح الإنسان بقدر عمله واجتهاده"[1].تعكس هذه الأمثلة مبادئ حجاجية تقوم على التناسب والارتباط السببي، حيث يُفهم أن جودة النتيجة مشروطة بمقدار العنصر المؤثر، مما يضفي منطقًا واقعيًا مقبولًا على الخطاب.

المبادئ الحجاجية هي مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية، والكل يسلم بصدقها وصحتها. فالكل يعتقد أن العمل يؤدي إلى النجاح، وأن التعب سيستدعي الراحة، وأن الصدق والكرم والشجاعة من القيم النبيلة والمحببة لدى الجميع، والتي تجعل المتصف بها في أعلى المراتب الاجتماعية. والكل يقبل أن انخفاض ميزان الحرارة يجعل سقوط المطر محتملاً. بعضها يرتبط بمجال القيم والأخلاق، وبعضها الآخر مرتبط بالطبيعة ومعرفة العالم[2]. وتعد المبادئ الحجاجية بمثابة أرضية مشتركة ينطلق منها الخطاب لإقناع المتلقي، إذ تستمد قوتها من إيمان الجماعة بها، سواء تعلقت بالقيم الأخلاقية أو بالمعرفة التجريبية.

"فإذا كانت المبادئ الحجاجية ترتبط بالأيديولوجيات الجماعية، فإنه من الممكن أن تنطلق استدلالات في نفس المقدمات، وأن يعتمد نفس الروابط والعوامل، ومع ذلك يصلان إلى نتائج مختلفة بل متضادة. ولن يفسر هذا إلا باعتماد مبادئ حجاجية تنتمي إلى أيديولوجيات متعارضة. لكن إلى جانب هذه المبادئ المحلية(topoi locaux) ، هناك مبادئ أهم وأعم،

[1]- ينظر، حافظ إسماعيلي العلوي، الحجاج، مفهومه، مجالاته، ص 66،
[2]- ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 33.

وهي مشتركة بين جميع أفراد المجموعة اللغوية، ومؤشرها داخل اللغة[1]، أي أنها تحظى بقبول جماعي في مجتمع وحقبة معينة. وهذه المواضع ذات الطابع التدريجي لها أشكال تتجدد بشكل أكثر أو أقل ضمن منطقة حجاجية محددة[2].

يكشف عن تداخل الأيديولوجي بالحجاج، حيث يسهم المبادئ الخاصة بكل جماعة في توجيه الاستدلال نحو نتائج متباينة، رغم الانطلاق من أسس مشتركة، مما يعكس نسبية الحجاج وشتّى مستوياته.

الحجاجية للقول: أي الإمكانات الحجاجية التي يتيحها فإذا أخذنا القولين التاليين:

-الساعة تشير إلى الثامنة أسرع.

-لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة أسرع.

سنلاحظ أن القول الأول سليم ومقبول تمامًا، أما القول الثاني فيبدو غريبًا ويتطلب سياقًا خاصًا وأكثر تعقيدًا حتى نستطيع تأويله. وبعبارة أخرى، فهو يتطلب مسارًا تأويليًا مختلفًا[3]، يكشف عن أهمية السياق في تحديد المعنى الحجاجي، ما يؤكد أن الفهم الحجاجي ليس مجرد استيعاب لغوي، بل تفاعل تأويلي.

5-الروابط الحجاجية:"هي مكونات لغوية تداولية، تربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر داخلتين في إطار استراتيجية حجاجية واحدة. ويختلف الرابط الحجاجي عن العامل الحجاجي بتعدد أصنافه، التي تحددها مجموعة من المعايير مثل: معيار عدد المتغيرات، أو معيار وظيفة الرابط، أو معيار العلاقة بين الحجج التي يسوقها الرابط.

-روابط الحجاجية صنفان:

✓روابط مدرجة للحجج مثل: (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن).

✓روابط مدرجة للنتائج مثل: (إذا، لهذا، وبالتالي، أخيرًا).

تُعد الروابط الحجاجية موضوعًا أساسيًا في تحديد بنية الاقتضاء، لكونها آلية مهمة في عملية الربط داخل النسق القول. وقد وُسِّع ديكرو وظيفتها لتؤدي أغراضًا استدلالية حجاجية، بالإضافة إلى الربط بين الوحدات الدلالية"[4].

---

[1]- المرجع نفسه، ص 33.

[2]- ينظر عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 99.

[3]- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 28.

[4]- آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي: دراسة تداولية، ص 97.

تُعد الروابط الحجاجية أدوات مركزية في بناء الخطاب، إذ لا تقتصر وظيفتها على الربط بين الجمل، بل تسهم في توجيه الاستدلال الحجاجي، مما يجعلها عنصرًا بنيويًا في تحقيق الاتساق والإقناع داخل القول.

لقد اقترح ديكرو وصفًا حجاجيًا جديدًا لهذه الروابط والأدوات، باعتباره بديلًا للوصف التقليدي. فإذا كان هذا الأخير يصف الأداة puisque بأنها تشير إلى أن "ب" يستلزم "أ" فقط، ويصف mais بأنها تشير إلى التعارض القائم بين القضايا التي تربط بينها، فإن الوصف الحجاجي لهذين الرابطين هو كالتالي: يُسلّم المخاطب بـ (ب)، والإحالة على الاستلزام (ب ←أ)،عليه أن يقبل "أ."

بالنسبة لـ "لكن"، فهي تميل إلى أن نستنتج من "أ" نتيجة ما، لا ينبغي القيام بذلك لأن "ب" صحيحة، مثلًا: "أ" تقترح النتيجة، أما "ب" فتقترح النتيجة المضادة.

أما بالنسبة لـ "حتىmême "، فليس دورها منحصرا في أن تضيف إلى المعلومة "جاء زيد" في القول "حتى زيد جاء" معلومة أخرى، هي أن مجيء زيد غير متوقع، بل إن دور هذا الرابط يتمثل في إدراج حجة جديدة أقوى من الحجة المذكورة قبله. والحجتان تقدمان نتيجة واحدة، لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية.

فالروابط الحجاجية (les opérateurs) تربط بين قولين، أو حجتين على الأصح أو أكثر، وتُسند لكل قول دورًا محددًا ضمن الاستراتيجية الحجاجية العامة[1].

يُظهر الوصف الحجاجي كيف تحوّلت من أدوات ربط شكلية إلى عناصر فاعلة في بناء المعنى الحجاجي، إذ يُمنَح كل قول وظيفة دقيقة ضمن استراتيجية الإقناع، مما يعكس عمق التفاعل بين البنية اللغوية والغاية التواصلية.

6-أفعال الكلام:(Les Actes de Langage)

نشأت فكرة (أفعال الكلام) أو (أفعال اللغة) من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة، مجال نشأة التداولية وتطورها، وهو "أن الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضًا في الوقت نفسه". فكانت الفلسفة بالوضعية المنطقية تشترط مقياسًا وحيدًا للحكم على دلالة جملة ما، وهو مقياس الصدق والكذب، فيُحكم صدقها

[1]- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 26-27.

أو كذبها بمدى مطابقتها لذلك الواقع، نحو: "الجو جميل" صادقة في حال واحدة هي جمال الجو واقعًا، وكاذبة في غير ذلك، وجوهر الخير عند هؤلاء الفلاسفة أنه لا يُقبل إلا إذا كان خاضعًا للتمحيص والتجريب، والوظيفة الأساسية للغة هي وصف حالات العالم وإثباتها[1].

جاءت التداولية تبرز أن اللغة ليست مجرد أداة لنقل المعلومات، بل لفعل الأشياء والتأثير في الواقع الاجتماعي.

يبنى الاتجاه التداولي النواة المركزية في كثير من الأعمال التداولية، كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، حيث يُعد نشاطًا ماديًا نحويًا يتوسل أفعالًا قولية لتحقيق الأغراض الإنجازية (كالطلب، والأمر، والوعد، والوعيد...)، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلًا تأثيريًا، أي يطمح ذلك التأثير في المخاطب اجتماعيًا أو مؤسساتيًا، ومن ثم إنجاز شيء ما. حيث وضع أوستن مفهوم الفعل الكلامي في المحاضرات التي ألقاها في جامعة أكسفورد في العقد الثالث من العشرين والمحاضرات ألقاها في جامعة هارفاد، نُشرت بعد موته في كتابه المعنون How to Do Things with Words سنة 1962، وطوّره سيرل الذي ظهرت على يديه نظرية منتظمة لاستعمالات اللغة بمصطلحات الأفعال الكلامية[2].يتضح أن الاتجاه التداولي قد أحدث تحولًا جذريًا في فهم اللغة بوصفها أداة للفعل والتأثير، لا مجرد نقل لمعانٍ، إذ أضحت اللغة نشاطًا تفاعليًا يحمل أبعادًا اجتماعية ومؤسساتية تتجاوز بنيتها الشكلية.

ومن خصائص هذه العبارات أنها جمل لا تصف واقعًا خارجيًا ولا تعينه، ولا تحيل إليه، مع أنها جمل خبرية، نحو:

1. ألتزم بالحضور.
2. أعلن على افتتاح الجلسة.
3. أعدك بالزيارة غدًا إن شاء الله.
4. سأعيد لك ما لك الشهر القادم بحول الله.

[1]- ينظر خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 89–90
[2]- ينظر أمل يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي: دراسة تداولية، ص 120

فهذه الجمل ونحوها لا يمكن وصفها بالصدق والكذب، وهي لا تعكس واقعًا موصوفًا بقدر ما هي أفعال منجزة من المتلقي أو المتكلم على حد سواء. ومن خصائصها أنها جمل محكومة بالتلفظ بها، حيث إن ننطقها سبب في إنجاز الأفعال المبنية عليها:

ففي (1) وعد، وفي (2) أمر بمباشرة أشغال الجلسة، وفي (3) وعد وطلب، وكذلك في (4)، مما يغير في سلوك متلقي هذه الجمل. تتوفر الظروف لذلك، وتنوع المتلقين بتنوع الأخبار وأغراضها، وهي جمل شبيهة بالجمل المنطوية على موجهات: أمر، استفهام، إلى آخر أمثلة العبارات المشروطة بالوضع الاجتماعي العام للمتخاطبين، وطبيعة مقاصد المتكلم من إسعاد السامع، أو الإساءة إليه، أو إزعاجه، أو تهديده، أو وعده؛ كل ذلك يبقى مرتبطًا ببنية المتكلم وقصده[1].

تبين الأفعال الكلامية وبنيتها بالمتكلم قصدًا التفاعل والتأثير.

فقد قدم أوستين تقسيمًا، وميز في الفعل اللغوي بين ثلاثة أفعال:

-الفعل الكلامي (أو فعل القول): هو فعل التلفظ بصيغة ذات صوت محدد وتركيب مفهوم ودلالة معينة.

-الفعل التكلّمي (أو الفعل المتضمن في القول): هو الفعل الإنجازي الحقيقي، وهو المفهوم المحوري في النظرية كلها، ويحدث بالتعبير عن قصد المتكلم.

-الفعل التكليمي (أو الفعل الناتج عن القول): وهو أثر الفعل التكلّمي في المستمع، وسماه بعضهم بالفعل التأثيري، وهو فعل يُنجز بواسطة الكلام.

وبناءً على التقسيم السابق، قسم أوستن الأفعال الإنجازية على أساس قوتها الإنجازية إلى خمسة أصناف:

1. أفعال الأحكام: وتتمثل في أحكام القضاء ونحوها.
2. أفعال القرارات: وتتمثل في اتخاذ قرار بعينه، كالإذن أو الحرمان أوالتعيين ما شابه ذلك.
3. أفعال التعهد: وتتمثل في تعهد يقوم به المتكلم مثل الوعد، الضمان، والقسم.
4. أفعال السلوك: وهي التي تكون رد فعل لحدث ما، مثل الاعتذار، الشكر، والمواساة.

[1]- ينظر، خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 90–91

.5أفعال الإيضاح: التي تستعمل لإيضاح وجهة نظر أو بيان رأي، مثل الموافقة، الاعتراض، أو الإنكار.

ثم قدم سيرل تصنيفًا بديلا لما قدمه أوستين للأفعال الكلامية يقوم على ثلاثة أسس: (الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة، شرط الإخلاص)، ثم جعلها خمسة أصناف:

.1الإخباريات: غرضها الإنجازي هو وصف المتكلم واقعة معينة من خلال قضية، وهي تحتمل الصدق والكذب.

.2التوجيهات: غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين.

.3الالتزاميات: غرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل.

.4التعبيريات: غرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيرًا يتوافر فيه الإخلاص.

.5الإعلانيات: وهي ما يطابق محتواها القضوي العالم الخارجي، وتحدث تغييرًا في الوضع الهائم، وتقتضي عرفًا غير لغوي[1].

وخلاصة القول: إن أفعال الكلام هي نواة مركزية في كثير من الأعمال التداولية، بحيث يُحمَّل اللغة أو الجملة أو العبارة بوصف الصدق أو الكذب، إلى أن القصد من اللغة أو الكلام هو تبادل المعلومات بواسطة اللغة.

7-الاستلزام الحواري:

لتوضيح مفهوم الاستلزام الحواري[2](conversational implicature)، حيث يُعد من أهم جوانب الدرس التداولي، فقد نشأ على يد غرايس، الذي لاحظ أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون. حيث حاول تبيين الاختلاف بين ما يُقال وما يُقصد، حيث يكون ذلك على نحو غير مباشر، اعتاد فيه السامع على الوصول إلى المقصود. أما الاستلزام عند غرايسنوعان: **عرفي**: قائم.

على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تتغير بتغير التراكيب والسياقات. الاستلزام الحواري متغير بتغير السياقات التي يرد فيها. وحتى

[1]- ينظر: آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي، دراسة تداولية، ص 120.
[2]- ينظر: أبو عبد السلام الإدريسي، بلاغة الحجاج وتحليل الخطاب، دراسة تطبيقية، الكلية المتعددة التخصصات بالناظور، ط 1، جامعة محمد الأول، سبتمبر 2024، ص 107.

يصف غرايس ظاهرة الاستلزام، اقترح نظرية المحادثة التي تنص على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام، وهو مبدأ التعاون، وبمسلّمات حوارية. ومبدأ التعاون يقتضي أن المتكلمين متعاونون في تسهيل عملية التخاطب.

ويتفرع مبدأ (التعاون) إلى أربعة مبادئ فرعية، هي:

-مبدأ الكم: أعط مقدارًا صحيحًا من المعلومات، بلا زيادة ولا نقصان.

-مبدأ الكيف / الصدق: حاول أن يكون إسهامك مما هو حق وصواب. لا تؤكد ما تعتقد كذبه، ولا تؤكد ما تحتاج إلى الحجج بشأنه.

-مبدأ المناسبة / العلاقة: تحدث بكلام في محله، وليكن كلامك على علاقة مناسبة بالموضوع.

-مبدأ الطريقة / الأسلوب: كن واضحًا ومحددًا، أوجز وتجنب الغموض واللبس، وحافظ على الترتيب والنظام[1].

وخلاصة القول: إن الناس كثيرًا ما يخالفون هذا المبدأ، مما جعل بعض الباحثين يرون أن مبدأ التعاون معياري ومثالي، لأن الناس كثيرًا ما ينتهكون هذه المبادئ.

[1]- يُنظر: آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي: دراسة تداولية، ص 126.

الفصل الثاني:

الحجاج اللغوي في الخطاب القرآني

المبحث الأول: الروابط والعوامل الحجاجية في القرآن الكريم

المبحث الثاني: الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري في القرآن الكريم

المبحث الثالث: السلالم الحجاجية والعلاقات الحجاجية في القرآن الكريم

المبحث الرابع: المواضع والاتجاه الحجاجي في القرآن الكريم

المبحث الأول: الروابط والعوامل الحجاجية في القرآن الكريم.

1- الروابط الحجاجية:

أ- الرابط "بل":

تعد الأداة "بل" من الروابط المهمة في الخطاب المكي ليس لأنها من تقنيات الإضراب فحسب، وإنما هي الروابط[1]، كما أنها تقييم علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجتيين فرعيتين تسيران في اتجاه النتيجة المضادة، أي بين الحجة القوية التي تأتي بعد (بل) والنتيجة المضادة للنتيجة السابقة[2].

مثال: قوله تعالى: "الَم تَرَ إلى الذِّينَ يُزَكُونَ أَنفُسَهُمْ بَلْ اللَّهُ يُزَكِي مَنْ يشَاء وَلاَ يُظْلَمُون فَتيلاً"[3]

ففي هذه الآية توبيخ من الله تعالى لأولئك الذين يدّعون لأنفسهم مكانة عند الله دون حق، مثل اليهود والنصارى ومن سار على نهجهم الذين زعموا أنهم "أبناء الله وأحباؤه". فادعوا أنهم بلا ذنوب ، وأن الجنة محصورة عليهم ، لكن هذه مجرد مزاعم لا دليل عليها فهم كاذبون في دعواهم، ولا يملكون من صفات المؤمنين ما يؤهلهم لذلك لأنهم ظلموا وكفروا بالله.

فالتزكية الحقيقية- أي الطهارة من الذنوب والاستحقاق للأجر ليست بين أحد ، وإنما هي من الله وحده لأنه الأعلم بباطن الأمور وخفايا النفوس ولا تتحقق هذه التزكية إلا بالإيمان الصادق والعمل الصالح والتخلّي على الأخلاق السيئة والتحلي بالصفات الفاضلة فالله عز وجل لا يضيّع أجر أحد ولو كان بقدر أصغر الأشياء ، كخيط الفتيل الذي في نواة التمرة.

تتضمن الآية الكريمة رابط حجاجيا يتمثل في أداة الإضراب "بل" والتي تؤدي وظيفة مهمة في بناء الحجة، إذ تستخدم هنا الإضراب الذي يفيد الارتقاء. فقد قسمت الآية إلى قولين يحمل كل منهما حجة مختلفة.

---

[1]- ينظر، مثنى كاظم صادق ، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية ، دار و مكتبة عدنان، ط1، لبنان،1436ه-2015م،ص74

[2]- ينظر. أبو بكر العزاوي اللغة والحجاج ، ص63.

[3] - سورة النساء، الآية 49.

-الحجة الأولى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِّينَ يُزَكُون أَنفُسُهُم" هذا القول جاء في مقام النقد والنفي، اذ يبطل فيه الفعل الحجاجي دعوى أولئك الذين يمدحون أنفسهم فيظهر انهم ليسوا مؤهلين لتزكية أنفسهم ، وبذلك توضع حجتهم في مرتبة أدنى ضمن السلم الحجاجي.

-الحجة الثانية: "بَلْ اللَّهُ يُزَكِي مَنْ يَشَاء" ، وهنا جاء الإضراب ليصعدوا الحجة ويؤكد أن التزكية الحقيقية ليست بيد الناس ، بل هي من اختصاص الله وحده، فهو الذي يزكي من يشاء بحسب علمه وعدله. مما يجعل هذه الحجة في مرتبة أعلى وأكثر قوة وإقناعا ويمكن التمثيل لهذا بالخطاطة الآتية:

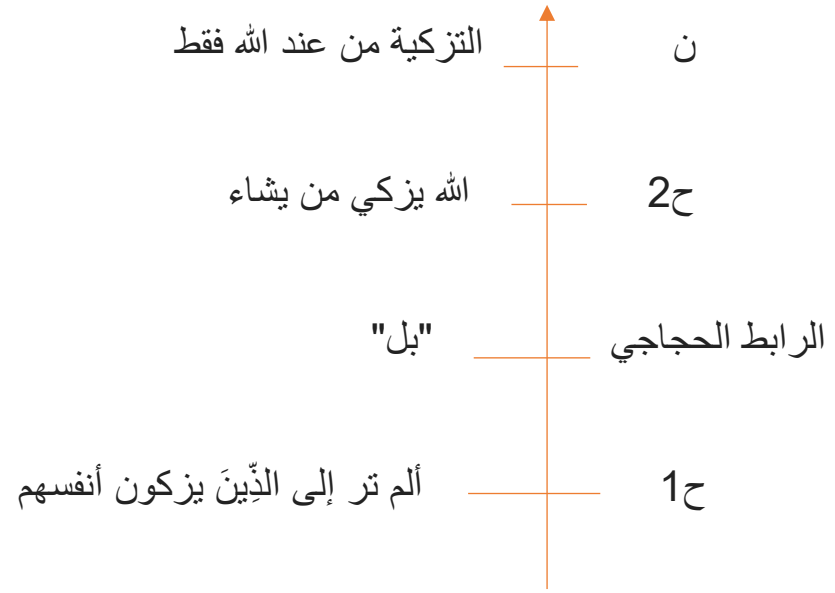

بهذا يكون الرابط الحجاجي (بل) في هذه الآية الكريمة ، عمل على إبطال الحكم الأول وإثباته للثاني.

ب- الرابط "لكن": تعد لكن من الروابط المدرجة للحجج القوية، لذا لقيت اهتماما كبيرا عند أنسكومبر و ديكرو فقد ميزا وجود هذا الرابط في اللغات الأخرى أيضا[1].

هي من أدوات التعارض الحجاجي ، وهي حرف يفيد الإستدراك.

قال تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ(11) أَلَّا إِنهُمْ هُمُ المُفْسِدُونَ وَلَكِن لَا يَشْعُرُونَ (12)[2].

[1]- ينظر، مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 83

[2]- سورة البقرة،11-12.

في الآية الأولى يظهر تعارض حجاجي بين حجتين ، الحجة الأولى هي ادعاء المنافقين بأنهم يسعون للإصلاح، حيث حصروا هذا الوصف في أنفسهم بقولهم "إنما نَحْنُ مَصْلِحُونَ" ، أي أنهم يرون أنفسهم وحدهم على الحق وينفون عن أنفسهم أي صلة بالفساد الذي نهوا عنه. هذه الحجة تستخدم كوسيلة لتبرير أفعالهم ومحاولة خداع المؤمنين، وهي تخدم عرضهم الأساسي في التلاعب بالحقائق وإظهار أنفسهم بصورة المصلحين. بينما هم في الحقيقة مفسدون.

أما الحجة الثانية فهي تأتي بعد الرابط "لكن" وتتمثل في أن هؤلاء لا يشعرون بما يرتكبونه من شر و فساد، وهذه الحجة تؤدي إلى نتيجة عكسية لما يدّعونه ، إذ تفضح حقيقتهم وتثبت أنهم فعلا مفسدون وتجعل الفساد منسوبا إليهم وحدهم ، كما في قوله تعالى "أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ" يمكن توضيح هذا التعارض الحجاجي بين الحجتين في الشكل التالي:

ن: (إنما نحن مصلحون) (لا- ن): (إنهم هم المفسدون)

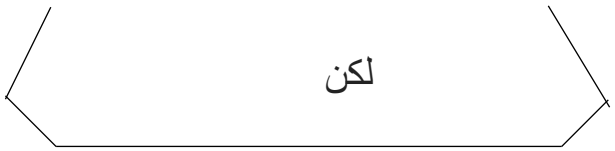

ح1(لا تفسدوا في الأرض) (لا-ن) ح2(لا يشعرون)

الحجة الأولى والحجة الثانية هما حجتان تدوران حول موضوع معين ، لكنهما لا تؤديان إلى نفس النتيجة ، بل تختلف نتيجتاهما ، ومع ذلك ، هناك نتيجة مضادة تتجه نحوها الحجة الأقوى ، وهي الحجة الثانية ، والتي تم تقديمها باستخدام أداة الربط الحجاجية "لكن" ، هذه الحجة الثانية هي التي توجه مجرى الخطاب بأكمله لأنها تعارض وتتفوق على الحجة الأولى.

ج- الرابط "حتى": "إن الحجج المربوطة بالرابط (حتى) عليها أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة ، كما أن القول المشتمل على الرابط (حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي وعليه يشير ما بعد (حتى) إلى حجة نفعية للخطاب من خلال الإشارة إلى أهمية ما هو ثانوي. وتفعيل دوره إلى ما قبله الأساس"[1].

[1]- مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص 96.

قوله تعالى: "وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ أَتَيتَ فِرعُونَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الحَياةِ الدُّنيَا رَبَّناَ لِيُضَلُّوا عنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا أطْمِسْ عَلَى أَمّوَالِهِم وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ(88)"[1]

في هذه الآية الكريمة يخبرنا الله تعالى بدعاء نبيه موسى عليه السلام على فرعون وأعوانه ، بعد ما رفضوا الإيمان وأصروا على الضلال والصد عن سبيل الله ، وقد استخدموا النعم التي أنعم الله بها عليهم- من أموال وخيرات- في محاربة الحق وإضلال الناس ، فلم تكن تلك النعم سببا لهدايتهم، بل وسيلة لزيادة طغيانهم وإفسادهم على الأرض.

تظهر الآية الكريمة الرابط الحجاجي "حتى" الذي لعب دورا بارزا في الربط بين حجتين متكاملتين تؤديان إلى نتيجة واحدة ، وهي تمادي فرعون وقومه في ضلالهم ، الحجة الأولى (حجة قبلية) تمثلت في "لا يؤمنوا" بينما الحجة الثانية (حجة بعدية) كانت "يروا العذاب الأليم" ، تعد الحجة الثانية أقوى وأشد تأثيرا في تعزيز النتيجة المضمرة لأنها تظهر أنهم لن يؤمنوا حتى في أشد لحظات العذاب ، مما يدل على مدى عنادهم وغلظ قلوبهم.

ويمكن التمثيل كالآتي:

ن	استمرار فرعون وملئه في ضلالهم
ح2	يروا العذاب الأليم
الرابط الحجاجي	حتى
ح1	لا يؤمنوا

يستخدم الرابط الحجاجي(حتى) للدلالة على نتيجة واحدة تنبثق من حجتين متتابعين تنتميان إلى نفس النوع الحجاجي ، فالحجة الأولى (السابقة لحتى) تمثل مقدمة تمهيدية في حين أن الحجة الثانية (اللاحقة لحتى) تأتي أقوى وأكثر تأثيرا في دعم النتيجة. ويلاحظ أن النتيجة الثانية تعزز بقوة الفكرة المطروحة ، مما يجعلها أكثر فاعلية من الحجة الأولى في ترسيخ المعنى المقصود.

[1]- سورة يونس، الآية88.

د-رابط "الواو": يكمن دور رابط "الواو" في استثمار دلالاتها في ترتيب الحجج ونسجها في خطاب واحد متكامل ، إذ تفصّل مواضع الحجج ، بل و تقوي كل حجة منها الأخرى[1].

قوله تعالى:" وَعِبَادُ الرَّحْمَـٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63)وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64)وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65)إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66)وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (67)وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَايَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68)يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69)إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (70)وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71)وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (72)وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (73)وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74)[2]

في هذه الآيات الكريمة ، استخدم الرابط الحجاجي "الواو" لربط مجموعة من الحجج المتسلسلة والمتكاملة التي تبرز صفات "عباد الرحمان" فقد جاء هذا الرابط ليجمع بين الصفات بشكل منسجم ويرتبها بطريقة تسهم في تحقيق الغاية المرجوة وهي رسم ملامح الشخصية الإيمانية لعباد الرحمان.

_الحجة الأولى: عبرت عن تواضعهم حيث وصفهم الله بأنهم "يَمْشُونَ على الأرض هَوْنًا" أي سكينة ووقار ، ثم جاءت الحجة الثانية لتظهر حلمهم و حسن أخلاقهم في التعامل مع الجاهلين ، إذ قال تعالى "وَ إذا خَاطَبَهُمْ الجَاهِلُونَ قَالُوا سلاما" ،بعدها الحجة الثالثة لتبين خوفهم من الله وخشيتهم من عذابه ، وهي صفة تعكس عمق إيمانهم ، كذلك عن صفة قيام الليل "الذينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وقياماً" ، أما الحجة الرابعة يظهر هذا الخوف جليا في دعائهم

[1]- ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب،ص172.
[2]- سورة الفرقان ،الآية 63-74.

الدائم لله يصرف عذاب جهنم عنهم "والذِّين يقُولُونَ رَبَّنَا ، اصْرِف عَنَا عَذَابَ جَهَنَّمَ إنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا".

تجلت صفة الاعتدال في الانفاق في الحجة الخامسة كما في قوله تعالى: "والذِّينَ إذَا أنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَم يَقْتَرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذلِكَ قَوَامًا"، حيث يبين هذا الموقف توازن المؤمن في نفقته ، بعيدا عن الإسراف والتقتير ، ثم الحجة السادسة لتبرز صفة الإخلاص لله في العبادة ، وذلك في قوله تعالى "والذِّينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إلاهًا آخَرَ" دلالة على التوحيد الخالص لله و رفض الشرك ، أما الحجة السابعة فقد عبّرت عن صفة الابتعاد عن الفواحش والباطل في قوله تعالى "ولا يَقْتُلُونَ النَّفس التي حرَّمَ اللَّهُ الا بالْحَقِّ ولَا يزنُونَ وَالذينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإذَا مَرُوا اللغوِ مَرُوا كرَامًا" حيث يظهر الترفع عن المحرمات والشبهات وكل ما يسيء إلى الأخلاق. ثم تليها الحجة الثامنة التي تحدثت عن التأثر بآيات الله ، كما في قوله تعالى" والذين إذا ذُكِّرُوا بِآيَات رَبِّهِمْ لَم يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعَمْيَانًا" أي أنهم يتلقون كلام الله بقلوب واعية وعيون بصيرة، لا غافلة ولا متجاهلة. وأخيرا، ختمت الصفات بالدعاء بالصلاح في الأزواج والذرية، في قوله تعالى" والذين يقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنَ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا"

ن	صفات عباد الرحمان
ح9	الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين و جعلنا للمتقين إماما
الرابط الحجاجي	الواو
ح8	الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا.
الرابط الحجاجي	الواو
ح7	لا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون والذين لا يشهدون الزور إذا مروا بلغو مروا كراما.
الرابط الحجاجي	الواو
ح6	الذين لا يدعون مع الله إلها آخر.
الرابط الحجاجي	الواو
ح5	الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا.
الرابط الحجاجي	الواو
ح4	الذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم.
الرابط الحجاجي	الواو
ح3	الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما.
الرابط الحجاجي	الواو
ح2	إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما.
الرابط الحجاجي	الواو

ح1 ↑ الذين يمشون على الأرض هونا.

تشكل الحجج (ح 1) إلى حججا سلسلة مترابطة ، بحيث تدعم كل حجة ما قبلها وتحرزها من خلال أداة الربط "الواو" ، مما يكسب البناء الحجاجي قوة واتساق. وهذا الترابط بين الحجج يسهم في توجيه القارئ نحو نتيجة واحدة وهي بيان إحدى صفات عباد الرحمان.

2- العوامل الحجاجية:

أ- العامل "إنما": "ينهض العامل الحجاجي (إنما) في النص مظهرا لنا معنى ثابتا وذلك بتقييده وجعله مؤكدا به ، مما يكسب الخطاب نوعا من ترتيب الحجة وتقويتها"[1].

قوله تعالى "وَإِذَا لَقُوا الذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلُوا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قالوا إنا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءونَ"[2]

تعد الحجة في هذه الآية أقوى من سابقتها ، إذ يكشف العامل الحجاجي المتمثل في "إنما" عن حقيقة نفاق المنافقين ، ويظهر زيف ادعائهم الود للمؤمنين ويتجلى ذلك في قولهم لرؤسائهم "إنا معكم" ، ثم يعززون هذا الادعاء بقولهم "إنما نحن مستهزءون" ليؤكدوا بذلك أن موقفهم الحقيقي هو الاستهزاء بالمؤمنين. وأن ما يظهرونه من ولاء ليس الا خداعا ، وهذا القول يمثل الحجة الأقوى ، لأنه يكشف النتيجة الحاسمة ، وهي تمسكهم بنفاقهم وبقاؤهم عليه.

_ يمكن تمثيله وفق المخطط التالي:

ن- ↑ إنما نحن مستهزءون.

ح2- واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم.

ح1- وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا.

[1] - مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 113.
[2] سورة البقرة ، الآية 14.

ب- العامل الحجاجي (لا... إلا) :

قوله تعالى: "لَا يَأتِيكُما طَعامٌ تُرزقانِهِ إلا َنبأتكُمَا بتأويله قبل أن يَأْتيكُمَا ذَلِكُمَا مما علَمَنِي ربّي إني تركْتُ مِلَّة قَومٍ لا يُؤمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونْ "(37)[1].

كان يوسف عليه السلام يخاطب صاحبيه في السجن قائلا لهما:" لا يأتيكما طعام تَرزَقَانِهِ إلا أخبرتكما بحقيقته وهيئته وكيفيته قبل أن يصل إليكما" ، أي أنه كان يخبرهما بما سيقدم لهما من طعام قبل أن يقدم وذلك دليل على ما أكرمه الله به من معجزة العلم بالغيب ، وقد فعل ذلك تمهيدا لدعوتهما إلى الإيمان بالله ليظهر لهما صدقه ومكانته عند الله.

أراد يوسف عليه السلام أن يدعو صاحبيه في السجن إلى التوحيد ، ويهديهما إلى الدين الحق ، قبل أن يجيبهما إلى ما سألاه من تعبير رؤياهما. وقد اتبع في ذلك منهج الأنبياء في الدعوة ، حيث يقدمون الهداية والإرشاد إلى الإيمان أولا ، ولهذا بدأ بإظهار معجزته في الإخبار بالغيب ليكون دليلا على صدقه ونبوّته ، مما يجعل دعوتهما إلى الحق أكثر تأثيرا و قبولا. من المفترض أن صاحبي يوسف عليه السلام في السجن قد أقبلا عليه وأظهرا رغبة في الحديث معه ، خاصة وهما يترقبان تعبير رؤياهما. فاستغل يوسف هذا الإقبال ليدخل في حديثه دعوتهما إلى الإيمان الصحيح مستفيدا من اهتمامهما به ، كما طمأنهما بأنه سيعبر رؤياهما قريبا ، مما جعل دعوته ممهدة ومقبولة لديهما. اختار يوسف عليه السلام الوقت الأنسب لمحاورة صاحبيه في السجن ، وهو وقت إحضار طعام السجناء حيث يكون الاهتمام منصبا على ما سيقدم لهم فاستغل هذا التوقيت ليظهر لهما معجزته في معرفة الغيب بهدف الوصول إلى الغاية المنشودة، وهي إقناعهما بصدق نبوته، وتمهيد الطريق لدعوتهما إلى توحيد الله و الإيمان به.

ولهذا الغرض استخدم يوسف عليه السلام الأسلوب الحجاجي "لا...إلا" لتقوية حجته وتعزيز برهانه حيث أكد قدرته بإذن الله على إخبار صاحبيه بنوع الطعام وصفاته قبل أن يقدم اليهما في السجن ، وهذا الإخبار لم يكن ظنا أو تنجيما ، بل وحيا من الله تعالى ، يعد من الغيب الذي لا يعلمه إلا الأنبياء ، ودليلا واضحا على نبوته ومعجزة تثبت صدق رسالته.

[1]- سورة يوسف ، الآية 37.

فقد جاء أسلوب القصر باستخدام "لا... إلا" مناسبا لطبيعة المخاطبين ، إذ كان يوسف عليه السلام يسعى إلى إقناعهما ودعوتهما إلى الإيمان بالله وتوحيده، وهذا الأسلوب الحجاجي يخدم هدفه الدعوي ، خاصة وأن الناس في ذلك الزمان ، ومنهم المشركون، كانوا يعتقدون بتعدد الآلهة ، فكان لا بد من خطاب مؤثر يبرز حقيقة التوحيد ويؤكد صدق دعوته.

قوله تعالى: "قَالُوا سُبحانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلمْتَنَا إنك أنت العليم الحكِيم"(32)[1]

أسلوب القصر باستخدام" لا... إلا" في هذه الآية الكريمة يعد مناسبا لسياق تأدب الملائكة مع الله سبحانه وتعالى. فقد بدأوا كلامهم بالتسبيح ، وهو تعبير عن التوقير والتعظيم لله ذي العظمة المطلقة وقد جاء الاستثناء بعد أداة "إلا" ليقوي الحجة التي يتضمنها قولهم "لا علم لنا إلا ما علمتنا"، وهو اعتراف بعجزهم عن الإحاطة بالعلم. وطلب للعذر من الله تعالى، تواضع منهم بعدما راجعوه في أمر استخلافه في الأرض. ويمكن تمثيله وفق المخطط التالي:

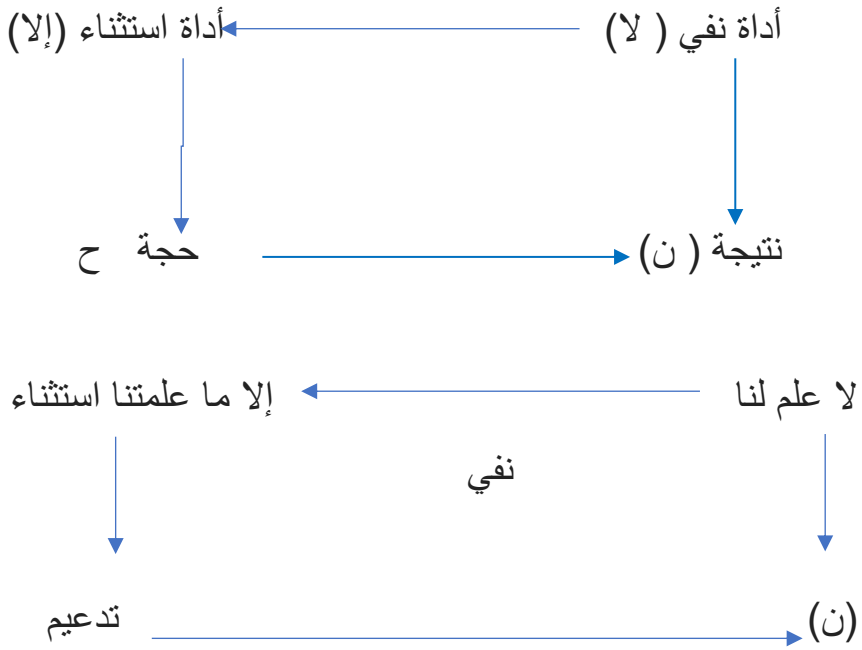

[1] - سورة البقرة ، الآية 32 .

ج- العامل الحجاجي (ما... إلا):

قوله تعالى "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"[1]

ما من رسول أرسلناه إلى أمة من الأمم قبل قومك إلا وكان يخاطبهم بلغتهم، حتى يفهموا بوضوح ما جاء من أوامر ونواه ، فتقوم عليهم الحجة ، وينقطع عذرهم في عدم الامتثال. وكذلك هذا الكتاب- القرآن الكريم- قد جاء بلغة قومك ، وهو يتلى عليهم بلغتهم، فلا عذر لهم في عدم فهمه، فما الذي منعهم من تدبره ودراسته، ليعرفوا ما فيه من أحكام و تشريعات ، وحلال وحرام ، ونظم تصلح شؤون المجتمع.

نلاحظ أن الأسلوب الحجاجي (ما... إلا) قد استخدم هنا في صورة قصر هدفه حصر وتحديد مسار الحجة وترتيب الأدلة بحيث تقود إلى نتيجة منطقية ومقنعة وهي إبطال أي عذر يمكن أن يحتج به الناس لرفض دعوة الحق ، هذا الأسلوب يعزز الإقناع، لأنه يظهر أن إرسال كل نبي بلسان قومه هو الخيار الأمثل لتحقيق الفهم الكامل للدعوة، وبالتالي لإقامة الحجة على المخاطبين.

د- العامل الحجاجي:(إن... إلا)

قوله تعالى:" قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"(11)[2]

جاء العامل الحجاجي" إن... إلا" في هذا السياق لتقوية حجة الأنبياء أمام أقوال أقوامهم ، حيث يدل على أن ما جاء به الأنبياء من آيات و معجزات هو حجة واضحة وقاطعة تثبت صدق رسالتهم ، أما ما اقترحه الكفار من آيات إضافية ، فليس للأنبياء أن يأتوا به من تلقاء أنفسهم ، لأن أمر ذلك يعود إلى مشيئة الله وحده. وقد عبر الأنبياء عن هذا المعنى بقولهم "وَمَا كانَ لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله" ، أي أن الإتيان بالحجج والمعجزات مرهون بإرادة الله و هو وحده الذي يقرر كفايتها. لا المخاطبون بها.

[1]- سورة إبراهيم ، الآية 04.
[2]- سورة إبراهيم ، الآية11.

المبحث الثاني: الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري :

أ- الأفعال الكلامية:

1- الإخباريات (التقريريات):

قال تعالى " وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (١١)وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ (١٢)"[1]

جاءت هذه الآيات لتثني على المؤمنين وتبرز فضلهم وذلك في سياق مقابلة بلاغية مع سبق من ذم الكافرين ، فعندما ضرب الله مثلا للكفار ، أتبع ذلك مباشرة بضرب مثل للمؤمنين. تحقيقا لمبدأ المقابلة الذي يوضح المعنى ويبرز الفارق بين الفريقين ويعد هذا الأسلوب من خصائص البيان القرآني ، إذ يجمع بين الترهيب والترغيب .فيخوف الكافرين بعاقبة كفرهم. ويرغب المؤمنين بما أعد لهم من نعيم جزاء على إيمانهم.

قوله تعالى " نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى (13) وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطٗا (14)"[2]

وردت هذه الآيات في مطلع سورة الكهف ، ويتناول قصة الفتية المؤمنين أصحاب الكهف.

في قوله تعالى" نَحْنُ نَقُصُ عَلَيْكَ نَبأهُمْ بِالْحَقِ"، استخدم أسلوبا إخباريا من أفعال الكلام التقريرية ، يفيد التأكيد والجدية ، وقد قدم المسند إليه" نحن" على الفعل" نقص" للدلالة على الاختصاص ، أي أن الله تعالى وحده هو من يروي هذا النبأ على وجه الحقيقة، ويعد هذا الأسلوب تمهيدا للدخول في أحداث القصة، مع التركيز على الجوانب التي تحمل العبرة. وقد بدأت القصة ببيان إيمان الفتية، ورفضهم لعقيدة قومهم ، ثم اعتزالهم بدخولهم الكهف ، مما يدل على صدق إيمانهم وثباتهم على الحق.

[1]- سورة التحريم ، الآية 11-12.
[2]- سورة الكهف ،الآية 13- 14.

قوله تعالى" ضَرَبَ اللهُ مثلاً لِلَّذِين كَفَرُوا امْرَأَتَا نُوحٍ وَامْرَأَتَا لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادخلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ "(10)[1] في هذه الآية، يوجه الخطاب من الله تعالى إلى الكافرين، حيث يضرب لهم مثلا بامرأتي نوح ولوط ، فالله سبحانه قد جعل من حال هاتين المرأتين عبرة لمن كفر ، ليبين أن القرب من الصالحين ، كالأنبياء لا يغني شيئاً إذا خلا القلب من الإيمان .فهما كانتا في بيت نبيين ، ومع ذلك لم يمنعهما ذلك من دخول النار. والمقصود من هذا المثال هو تحذير الكافرين من الاعتماد على شفاعات أو علاقات دنيوية ، فالنجاة لا تكون إلا بالإيمان والعمل الصالح ، أما قوله" فَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مع الداخلين "، فهو يحمل صيغة إخبارية لكنه يتضمن معنى إنجازيا قويا ، يتمثل في التهديد بالعذاب الذي لا مفر منه.

2- الطلبيات (أمريات):

النداء: قوله تعالى "وإذ قالَتِ الملائكة يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَك وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ(42) يَا مَرْيَمُ اقنتي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكعي مَعَ الرَّاكِعِينَ "(43)[2]

تتضمن الآية نوعين من الأفعال الكلامية أولها النداء والذي يتمثل في تنبيه السيدة مريم وتجهيزها نفسيا لتلقي ما سيقال لها ، مما يعكس أهمية الخطاب ومكانتها عند الله.

أما الفعل الثاني، فهو أمر إنجازي، يدعوها إلى الاستمرار في عبادة الله وملازمتها، مما يبرز قيمتها الروحية وتميزها بين النساء.

وقد تكرر فعل "اصطفاك" في الآية، ولكل تكرار دلالة خاصة: الاصطفاء الأول يشير إلى تطهير ذاتها وتنزيهها من كل ما يشين أما الاصطفاء الثاني يدل على تفضيلها على نساء العالمين ، وجاء الأمر" واركعي مع الراكعين" ليمنحها خصوصية أداء الصلاة ضمن جماعة المصلين، وهي ميزة التي ترفع مكانتها بين نساء بني اسرائيل، واستخدم جمع المذكر "الراكعين" يعكس اندماجها الكامل في الجماعة، ويشير الى رفعتها وشمولية التكليف الإلهي لها.

[1]- سورة التحريم، الآية 10.
[2]- سورة آل عمران الآية42-43.

الأمر و النهي : قوله تعالى" وإذ قُلْنَا لِلْمَلَائكَةِ اسْجُدُوا لأدم فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أبى واستكبر وكَانَ مِنْ الكَافِرِينَ"(34)[1]

عندما أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم ، استجابوا على الفور لأن الأمر تضمن فعلا مباشرا فيه الزام. وقد صيغ هذا الأمر بصيغة تعظيم .من خلال قوله: وإذ "قلنا". حيث أسند الفعل إلى ضمير العظمة ، مما يبرز قوة الأمر ومكانته ، ويحقق الغرض التداولي من الخطاب ، وهو دفع المخاطبين (الملائكة) إلى تنفيذ الأمردون تردد.

يصنف هذا ضمن **أفعال الكلام التوجيهية** بحسب تصنيف "سيرل" وهي أفعال تهدف إلى توجيه المخاطب للقيام بسلوك معين. وقوله تعالى "اسجدوا" يعد أمرا صريحا يحمل **قوة إنجازية** أي أن مجرد النطق به يحقق الفعل في الواقع ، وهذا ما حدث فعلا بسجود الملائكة فور صدوره .وبذلك يتضح أن الأوامر الإلهية ليست فقط طلبات ، بل أفعال تحقق تأثيرا مباشرا في الواقع .

قوله تعالى" يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ولا ترْتَدُّوا على أَدْبَارِكُمْ فتنقلبوا خَاسِرِينَ"(21)[2]

تضمنت الآية الكريمة فعلين إنجاز بين على هيئة أمر .وهما في قوله" يا قوم ادخُلُوا الأَرْضَ المقدسة التي كُتب اللَّهُ لَكُمْ". يعد هذا الأمر ذا قوة إنجازية واضحة ، حيث يحمل في طياته دعوة صريحة إلى محاربة العدو ، فالأمر بالدخول يتضمن السعي في تحقيق أسبابه. من الاستعداد والتهيئة للقتال ، إذ أن هذا هو المقصود الحقيقي من الخطاب ، وقد جاء النداء "يا قوم "في بداية الكلام ثم كرر لاحقا يهدف استحضار انتباه السامعين وتركيز أذهانهم .

كما اشتملت الآية على فعل إنجازي آخر على هيئة نهي ، في قوله" وَلَا تَرْتَدُوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ "، وقد جاء هذا النهي معطوفا على الأمر السابق. ليكمل المعنى ويؤكده ، مشيرا إلى ضرورة الثبات وعدم التراجع أمام مواجهة العدو.

الإستفهام :قوله تعالى "فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ (70) قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ (71) قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ (72)"[3]

---

[1]- سورة البقرة، الآية 34.
[2]- سورة المائدة الآية ، 21 .
[3]- سورة يوسف الآية 70- 71-73.

جاءت عبارة "اقبلو عليهم ، ماذا تفقدون ؟ "متضمنة فعلا كلاميا انجازيا على هيئة استفهام حقيقي يهدف إلى الاستفسار الفعلي عن الشيء المفقود.

أما الجملة " أقبلوا عليهم "فهي في محل حال من ضمير "قالو حيث يشير "اقبلوا" إلى فتيان يوسف عليه السلام ، بينما يعود ضمير "عليهم" إلى أخوة يوسف الذين هم مرجع ضمير" قالوا" وقد جاء الرد في الآية بقولهم "نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير . وأنا به زعيم "، وهي جملة تتضمن فعلا تلفظيا مركبا يجمع عدة أفعال كلامية بدءا بالفعل "قالوا" وهو فعل إنجازي يدل على التلفظ. ويتبعه مجموعة من الأفعال الإخبارية التقريرية.

كما تضمنت العبارة "ولمن جاء به حمل بعير ، وأنا به زعيم" تقريرا لجزاء من يعثر على الصواع ، حيث يعد ذلك إخبار يحمل قوة إنجازية تتمثل في إعلان العقوبة أو المكافاة، بالإضافة إلى "وأنا به زعيم" وهو فعل تقريري ذو طابع إنجازي يدل على التزام قائل العبارة بتحمل المسؤولية عن الأمر.

3- الوعديات:

قوله تعالى "قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزلها عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرُ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِني أَعذبَهُ عَذَابًا لَا أَعْذبهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ "(115)[1]

في قوله تعالى" فَإِنِّي أَعَذِّبَهُ عَذَابًا لا أعذبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ"، يظهر فعل تلفظي إنجازي يتضمن الوعيد بالعذاب الشديد من الله تعالى. يحل هذا القول تحذيرا واضحا لمن يكفر بعد الإيمان ، فجزاء هذا الكفر بعد الإيمان ، عذاب أعظم من عذاب سائر الكفار لأن هؤلاء قد اجتمع لديهم دليلا العقل والحس، مما يسقط عنهم أي عذر.

ويلاحظ أن الضمير المنصوب في قوله تعالى" لا أعذبه" يعود على المصدر المفهوم من الكلام ، لا على المفعول به ، أي أن المعنى: لا أعذب أحدا من العالمين مثل ذلك العذاب ، فالضمير في موضع المفعول المطلق، لا المفعول به.

[1]- سورة المائدة ، الآية 115.

4- الإفصاحيات:

قوله تعالى" قَالَ الذِّي عِندَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أَنْ أَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مستَقِرًا عِندَهُ قَالَ هذا مِنْ فضل ربي لِيَبْلُونِي أَشْكُرُ أم أكفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فإِنَ ربِّي غنيٌّ كَرِيمٌ"(40)[1]

في قوله تعالى "قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر" يظهر فعل كلامي تعبيري يتمثل في الاعتراف بفضل الله تعالى ، وتكمن القوة الإنجازية في هذا الفعل في إظهار التواضع والاعتراف بأن ما ناله من نعمة ليس من كسبه الذاتي ، بل من فضل الله ، وقد نسب سليمان عليه السلام الفضل إلى الله بوصفه" ربي"، ليبرز عظمة هذا الفضل، إذ هو عبد الله وإحسان الله إليه هو تفضل محض لا يقابله استحقاق.

كما يلاحظ أن سليمان عليه السلام لم يشغل، حين أحضر له العرش. بالفرح بسلطانه أو التفاخر بما منح من قوة وجنود مسخرين بعلم وقدرة بل أعاد كل ذلك إلى فضل الله إشارة إلى أن فضل الله عليهم جميعا ناشئ من تفضيله عليه هو، لا من قدراتهم الذاتية.

5- التصريحات:

قوله تعالى" وَوَصَيْنَا الإنسَانَ بِوالَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْن وفِصالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ المَصِير"(14)[2]

ابتدأت الآية الكريمة بالفعل "ووصينا"، وهو فعل كلامي من نوع التصريحات، يحمل قوة إنجازية توجب طاعة الوالدين، ويعزز هذا المعنى اقتران شكر الوالدين بشكر الله.مما يدل على عظم منزلتهما وأهمية برّهما.

كما أن قوله تعالى" حَمَلَتْهُ أُمُهُ وَهْنًا عَلَى وَهن" ورد في سياق التعليل لهذه الوصية. ليؤكدها ويبرز فضل الأم وما تكابده من مشقة الأمر الذي يعزز في نفس الابن الدافع لبرّها، ثم برّ أبيه من بعدها. فالتعليل بالحمل والضعف يضفي على الحكم مزيدا من القوة والإلزام لما فيه من إثارة للعاطفة وتحريك للضمير تجاه الوالدين.

---

[1]- سورة النمل ، الآية 40.
[2]- سورة لقمان ، الآية 14 .

ب- الإستلزام الحواري:

المدح والثناء :

قوله تعالى" وَكَذَٰلِكَ جَعَلنَٰكُم أُمَّة وَسَطا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَعَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيدا وَمَا جَعَلنَا ٱلقِبلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيهَآ إِلَّا لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيهِ وَإِن كَانَت لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُم إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوف رَّحِيم"(143)[1]

اشتملت الآية الكريمة على أسلوب خبري يحمل في طيّاته معنى ضمنيا- يتجاوز الإخبار المحض، ويتمثل في المدح والثناء على أمة المؤمنين، فقد اختار الله تعالى المسلمين ليكونوا "أمة وسطا" بين سائر الأمم وخاصة بين اليهود والنصارى، والوسطية هنا تعني الاعتدال والتوازن، والبعد عن الإفراط والتفريط في العقيدة والسلوك.

ويطلق لفظ" الوسط" في اللغة على "الخيار" و"العدل"، مما يبرز منزلة هذه الأمة ومكانتها. ومن هنا فإن الأسلوب الخبري في الآية خرج عن دلالته الأصلية إلى دلالة مقامية تشير إلى تكريم أمة محمد صلى الله عليه وسلم والثناء عليها بكونها أمة معتدلة متميزة بين سائر الأمم.

الدعاء: من الآيات التي خرج فيها الخبر إلى معنى الدعاء قوله تعالى" في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مرضا ولهم عذابُ أَلِيمٌ بما كانوا يُكَذِبونَ"(10)[2]

لا تقتصر الآية على القوة الإنجازية الصريحة التي تتمثل في الإخبار عن وجود المرض في قلوب المنافقين بل تتضمن أيضا قوة إنجازية مستلزمة هي الدعاء، فالسياق يحتمل أن يعبر المتكلم بصيغة دعائية مثل" اللهم زدهم مرضا". وهي صيغة أمر يراد بها الطلب والدعاء، مما يفهم منه جاء وقوع الفعل.

لكن الآية اختارت الأسلوب الخبري، فجاءت بصيغة تحقق وقوع الفعل" فَزادَهُم الله مَرَضًا"، وهو أبلغ أثرا في نفس السامع من أسلوب الدعاء لأنه يعبر عن أمر واقع متحقق لا مجرد طلب، مما يمنح الخطاب قوة توبيخية وإنذارية أشد وقعاً.

[1]- سورة البقرة ، الآية 143.
[2]- سورة البقرة ،الآية 10.

الالتزام: قوله تعالى" قَالَ إِنَّهُ يَقولُ إِنّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تثِيرُ الأَرْضَ ولَا تَسْقِي الحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا أَلَانَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ"(71)[1]

لا يفهم قول قوم موسى عليه السلام الآن جئت بالحق على أنه مجرد اخبار . بل يتضمن التزاما فعليا بتنفيذ الأمر الإلهي المتعلق بذبح البقرة. ويستدل على هذا المعنى من السياق العام للآيات ، خاصة مع قولهم لاحقا "سمعنا وأطعنا" الذي يؤكد الاستجابة والطاعة.

ومن تم، فإن القوة الإنجازية الصريحة في هذه الآيات تتمثل في الاخبار بينما تكمن القوة الإنجازية المستلزمة في انشاء الالتزام، اذ يتحول الأسلوب الخبري ، بفضل قرائن المقام والسياق، من مجرد بيان للواقع إلى تعبير عن نية الالتزام والتنفيذ.

-المعاني المستلزمة عن أسلوب الاستفهام:

التعجب: قوله تعالى ""وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30).[2]

يحمل سؤال الملائكة في قوله تعالى" أتجعل فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيُسْفك الدماء"، معنى يتجاوز الاستفهام الظاهري، إذ يفهم منه التعجب من استخلاف من عرف بالفساد وسفك الدماء في الأرض في مقابل أهل الطاعة والعبادة. وهذا التعجب نابع من إدراكهم أن الله تعالى حكيم، لا يصدر عنه إلا ما هو خير وصواب.

فالمعنى الضمني يشير إلى أن من كان شأنه الا فساد ولا يصلح للتعمير، لأنه إذا عمر شيئا سرعان ما يهدمه مما يجعل استخلافه مدعاة للتعجب، وبذلك فإن القوة الإنجازية الصريحة في هذا الملفوظ هي الاستفهام، في حين ان القوة الإنجازية المستلزمة هي التعجب المقامي، المستفاد من سياق الآية ومقامها.

التوبيخ: وقد خرج الاستفهام إلى معنى التوبيخ قوله تعالى"أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"(44)[3] تحمل معنى التوبيخ لعدم الاستقامة في الآية على معناه الحقيقي ، غيران استخدامه ورد مجازا ، بدلالة قرينة المقام ، وقد نتج عن هذا

[1]- سورة البقرة ، الآية 71.
[2]- سورة البقرة ، الآية 30.
[3]- سورة البقرة ، الآية، 44.

الاستخدام المجازي معنى إضافي هو التعجب من حال من وبخوا ، وذلك لأن ما أدينوا عليه من تصرف يعد امرا غريبا حيث يراد الخير لغيرهم بينما يمهلون أنفسهم وهذه المفارقة في السلوك تثير التعجب، فيكون من الطبيعي لكل سامع أن يدهش من حالهم.

-قوة إنجازية حرفية ناتج عن معنى الصيغة الحرفية للتركيب (السؤال).

- قوة إنجازية مستلزمة(أولى) متولدة عن معنى المعنى (التوبيخ).

- قوة إنجازية مستلزمة (ثانية) متولدة عن معنى (معنى المعنى) "التعجب".

بمعنى خرج الاستفهام إلى معنيين التوبيخ والتعجب.

- المعاني المستلزمة عن أسلوب الأمر:

النصح والإرشاد: قوله تعالى" واستعينوا بالصَّبْرِ وَالصَّلَوَاتِ وَانَّهَا لَكَبِيرَةُ إِلَّاعَلَى الخَاشِعِينَ"(45)[1]

يوجه الخطاب في هذه الآية إلى بني اسرائيل ويأتي الأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة على سبيل الإرشاد ، ليبين لهم ما يعينهم على الامتثال لما كلفوا به من أوامر ونواه الإلهية، فالصبر والصلاة وسيلتان مهمتان تساعدانهم على الالتزام بما فرضه الله عليهم وتحمل مشقة التكاليف والوفاء بالعهد.

-المعاني المستلزمة عن أسلوب النهي:

التحذير: يخرج النهي الى معنى التحذير كما في قوله تعالى "وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"(42)[2]

ترتبط الآية بالتي قبلها من خلال العطف الكلامي توجيهي يحمل قوة إنجازية صريحة هي النهي. كما تتضمن الآية أيضا قوة انجازية مستلزمة تتمثل في التحذير ، حيث يحذر بنو إسرائيل من خلط الحق بالباطل ، أي من محاولة تزييف الحقائق وتقديم الباطل بصورة الحق، مع علمهم بالحقيقة ، وذلك بغرض اضلال الناس وتشويه الفهم.

-المعاني المستلزمة عن أسلوب النداء:

[1]- سورة البقرة، الآية ،45.
[2]- سورة البقرة، الآية ،42.

التكريم والتشريف: يخرج النداء لإفادة معنى التكريم والتشريف للمنادى كما في قوله تعالى "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ"(35)[1]

جاء النداء في هذه الآية في مقام التكريم لآدم عليه السلام وزوجه ، فهو نداء تنويه يقصد به تعظيم ذكرهما ورفع منزلتهما ، ويذكر اسم آدم في الملأ الأعلى على وجه التشريف إذ أن نداءه بهذا الأسلوب يستدعي كي انتباه أهل السماء، ليتوجهوا إلى ما سيتضمنه الخطاب من توجيه أوامر الهي ، مما يعكس مكانته عندا الله عزوجل.

[1]- سورة البقرة ،الآية،35.

المبحث الثالث: السلم الحجاجي والعلاقات الحجاجية في القرآن الكريم.

1- السلم الحجاجي:

قوله تعالى: "إن جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادا(21)للطاغين مئابا(22)لابثين فِيهَا أَحْقَابًا(23) لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَردًا ولَا شَرابًا(24)إلَا حَمِيمًا وغساقا(25)جزَاءً وِفَاقًا(26) إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا(27) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا(28) وَكُلَّ شَيْءٍأَحْصَيْنَاهُ كِتابًا(29) فذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إلا عَذَبًا(30)"[1]

بدأ الخطاب الحجاجي بتصوير مصير الطغاة ، وهو جهنم دارالعذاب في الآخرة ، ليبعث في النفس منذ البداية شعورا بالخوف والنفور. لم يكتف النصبذكر جهنم كمكان للعقوبة بل وصفها بأنها "مرصاد" ، أي مكان للمراقبة والترقب تترصد من سيدخلها ، فلا يفلت منها أحد من الطغاة ، مما يزيد من شدة الحجة وقوتها في الخطاب ، وهذا من شأنه أن يزرع اليأس في نفوس الطغاة ويقطع عنهم أي أمل في النجاة.

ثم ينتقل الخطاب إلى درجة أعلى في سلم الحجاجي فيعزز الحجة الأولى بحجة أشد وقعا ، إذ لا يكتفي بجعل جهنم مكان يمر به الطغاة بل يجعلها "مآباً" لهم، أي مستقرا ومأوى دائما ، فهم لا يعبرونها فقط ، بل يقيمون فيها ويخلدون. وهذا يصعد من حدة الرهبة والخوف في نفس السامع ، ويضاعف الرعب تدريجيا مع كل درجة يصعدها الخطاب ، إلى أن يستقر المعنى في أن الطغاة لن يخرجوا من النار بل سيخلدون فيها إلى الأبد.

- تدَّرجت الحجج لهذه الآيات في سلّم حجاجي يمكن تمثيلي بهذا النحو:

[1]- سورة النبأ ، الآية 21-30.

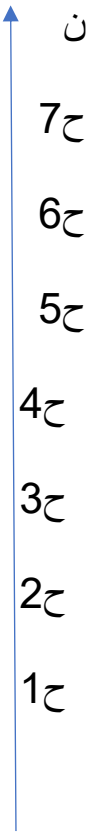

الخلود في جهنم (ن)

(فذوقوا فلن نزيدكم الّا عذابا)

(وكل شيء أحصيناه كتابا)

(إلا حميما وغساقا)

(لا يذقون فيها بردا ولا شرابا)

(لابثين فيها أحقابا)

(للطاغين مآبا)

(إن جهنم كانت مرصاد)

ويتجلى تصاعد السلم الحجاجي في خطاب العذاب من خلال المشهد الذي يصوّر وجوه الكفار وحالتهم يوم القيامة حيث تزداد شدة التصوير خطوة بعد خطوة ليظهر مدى الهول والرعب الذي يعيشه الكفار في ذلك اليوم.

قوله تعالى:" وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ(2)عَاملة ناصِبَةٌ(3) تصلى نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5) ليسَ لَهُمْ طَعَامُ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (6) لا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (7)"[1]

يعتمد هذا السلم الحجاجي على مجموعة من الحجج التي تهدف جميعها إلى الوصول إلى نفس الغاية، وقد تم تنظيم هذه الحجج وترتيبها ضمن خطة حجاجية موحدة، تسمح بتحقيق الهدف المرجو، لذلك وضعت الحجج الأضعف تأثيرا في بداية السلم، بينما تصاعدت الحجج الأقوى تدريجيا نحو المراتب العليا، مما يعزز من قوة التأثير والإقناع كلما تقدم الخطاب.

[1]- سورة الغاشية، الآية 2-7.

ولأن النفس البشرية تميل بطبعها إلى العزة والراحة والاستقرار، فقد بنيت الدرجات الأولى من السلم الحجاجي على حجج تظهر صفات تناقض هذه القيم، مثل الذل والمشقة والتعب والغاية من ذلك هي إثارة النفور في النفس من هذه الصفات، مما يدفع الإنسان إلى تجنبها بالسعي والعمل الجاد لا يكون مصيره مرتبطا بها.

يمكن بناء السلم الحجاجي لبنية هذه الآيات كما يأتي:

(ن) (وقوع العذاب بنوعيه النفسي والجسدي. بالكافرين يوم القيامة)

ح7 لا يسمن ولا يغني من جوع.

ح6 ليس لهم طعام إلا من ضريع.

ح5 تسقى من عين آنية.

ح4 تصلى نارا حامية.

ح3 وجوه ناصبة.

ح2 وجوه عاملة.

ح1 وجوه خاشعة.

من أجل الوصول إلى هدفه في بثِّ الخوف والتحذير من العذاب والمعاناة في يوم القيامة، وظّف الخطاب أسلوب الترهيب والتنفير لإبعاد الناس عن هذا المصير المظلم.

2- العلاقات الحجاجية:

تجلّت العلاقات في الخطاب القرآني بشكل شامل غير انها تمايزت وتنوعت بحسب الأهداف والمقاصد التي سعت إلى تحقيقها.

قوله تعالى" يَا أَيُّها الذين آمنوا لا تَتَّخِذُوا بَطَانَةٍ مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ حيالًا وَدُّوا مَا عنتُمْ قَدْ بَدَتْ البَغْضَاء مَنْ أفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخفِي صُدُورِهُمْ أكْبَرقَدْ بَيْنَ لكُمُ الآيَاتِ إن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (118)"[1].

بدأت الآية بنداء يهدف إلى جذب انتباه المؤمنين، تلاه تحذير يشير الى ضرورة الابتعاد عن مخالطة الكفار التي قد تؤدي الى كشف أسرار المسلمين والتعرف على شؤونهم الخاصة، مما يستدعي اتخاذ الحذر واخفاء المعلومات عن الأعداء. وكان هذا التحذير نتيجة منطقية للأدلة التي تعرضها الآيات" لا يألُونَكُم خِبَالاً، وَدُّوا مَا عَنِتُمْ قد بَدَتْ البغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ، وَمَا تَخْفِي صُدُرُوهُمْ أَكْبَر".

جاءت الحجج على هيئة أحداث متتابعة ترتبط ببعضها البعض بروابط سببية، حيث يشير الرابط السببي إلى العلاقة التى تربط بين هذه الأحداث والنتيجة النهائية التي تترتب عليها والتي تعبر عن النتيجة الكبرى المترتبة على تلك العلاقات.

تسلسل الأحداث في النصوص القرآنية يقود العقل إلى التأمل العميق، من خلال منهج استنتاجي يعتمد على الاستدلال المنطقي والبرهان الواضح. فوظيفة العقل لا تقتصر على المعرفة والفقه بل تتعداهما إلى إدراك المعاني وتأمل الحجج البينة في الآيات.

هذه الآيات تعد كافية للتحذير من التعامل مع الكفار، من يهود ومنافقين. في ضوء صورة مترابطة من العلاقات التي تشكل الهيكل الحجاجي للخطاب القرآني.

[1]- سورة آل عمران، الآية 118.

المبحث الرابع: المواضع والاتجاه الحجاجي في القرآن الكريم.

1-المواضع الحجاجية:

قوله تعالى "قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَاسِ(1) مَلِكِ النَّاسِ(2)إله النَّاسِ(3) مِنْ شَرِ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ(4) الذِّي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ(5)من الجنَّةَ وَالنَّاسِ(6)[1]

من خلال الآية تهدف إلى طلب الحماية من الشرور الخفية وعلى رأسها وسوسة الشيطان والتأكيد على أن الله وحده هو الملجأ الحقيقي للإنسان في مواجهة هذه الأخطار وأخيرا بيان ان الخطر الأكبر هو ما يهدد الإيمان والعقل من الداخل لا من الخارج فقط.

تتكون السورة من حجج متتالية تؤسس للاستعاذة بالله وتبررها عقليا و شرعيا:

(قل أعوذ بِرَبِّ النَّاسِ) الله هو الخالق المدبر والراعي لشؤون الناس، فله وحده نلجأ.

(مَلِكِ النَّاسِ) فالله هو الملك الذي له الأمر كله فلا حماية إلا من جهته، (إله النَّاسِ) هو الله وحده المستحق للعبادة، فلا يطلب النجاة إلا منه، (مِن شَرِ الوَسْواسِ الخَّنَاسِ) تبين خطرا داخليا خفيا الوسواس ، مما يبرر الحاجة للاستعاذة (الذي يوسوس في صدور الناس) يتبين موضع الخطر داخل النفس مما يجعله أخطر وأدق ، (مِنَ الجِّنَةِ والنَّاسِ) تؤكد أن الوسوسة قد تصدر من شياطين الإنس والجن ، أي أن العدو ليس خارجيا فقط بل قد يكون قريبا جدا.

أما النتيجة التي تقود السورة فهي عقلية إيمانية واضحة من أن الإنسان لا يملك حماية حقيقية من شرور الوسوسة الخفية، وتعزز الوعي بضعف الإنسان أمام بعض الشرور، وضرورة الالتجاء الدائم إلى الله، لا بالقوة الظاهرة الخفية، بل بالتوجه القلبي والدعاء.

[1]- سورة الناس ، الآية 1- 6.

2- الاتجاه الحجاجي:

قوله تعالى "قُلْ هُوَ اللهِ أَحَدْ(1)اللهُ الصَّمَدْ(2)لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(3)وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدْ(4).[1]

تتبنى السورة أسلوبا حجاجيا قويا يهدف إلى ترسيخ عقيدة التوحيد ونفي كل تصوّر خاطئ عن ذات الله ، فهي تطرح مجموعة من الحقائق الإيمانية في عبارات قصيرة لكنها تحمل حججا دامغة تنقض عقائد المشركين وأهل الكتاب.

تؤسس لوحدانية الله الكاملة ، وتنفي الشرك وتعدد الآلهة ، مقدمة حجة عقلية وروحية في آن واحد. وتؤكد أن الله هو المرجع والمقصد الذي يحتاج إلى أحد ويحتاج إليه كل شيء ، مما يدل على كماله واستغنائه المطلق.

كما تقطع هذه الآية الكريمة طريق على أي تشبيه بين الله وخلقه، مؤكدة تفرده وتنزّهه عن كل شبيه أو نظير.

أما النتيجة التي تخرج بها الآية هي من خلال الحجج تبين السورة أن الله متفرّد و لا يشبه شيء، ولا يشاركه أحد في ذاته أو صفاته، وهو وحده المستحق للعبادة وهذا يجسد جوهر العقيدة الإسلامية في أوجز بيان وأقواه حجة.

[1] - سورة الإخلاص ، الآية1-4.

خـــاتمة

في ختام هذه الدراسة توصلنا إلى جملة من النتائج منها ما هو متعلق بالشق النظري المعرفي ,ومنها ما هو متعلق بالشق الإجرائي التطبيقي.

أ-الشق النظري:

-يعد الحجاج اللغوي في الخطاب القرآني عنصرا فعالا في عملية الإقناع.

-الحجاج اللغوي من أبرز مواضيع التداولية والخطاب القرآني موجه لتأثير في نفوس المخاطبين لذلك نجده يوظف الآليات الإجرائية.

-يبرز الحجاج اللغوي مطبوع في الخطاب القرآني، إذ هو جزء من اللغة لا تكون بدونه.

-تطورت دلالة الحجاج اللغوي في الخطاب القرآني بمعان مختلفة كان عمادها الحوار.

-ساهم العزاوي في نظرية الحجاج اللغوي في تأصيل مفهوم ضمن السياق، ورابطا بين الأساليب الحجاجية والبعد التداولي.

-اهتم شكري المبخوت بتحليل الخطاب من ناحية التداولية، وركز على دور اللغة في الإقناع والتأثير..

-تباينت الدراسات اللغوية عند ديكرو وأنسكومبر التي تناولت مفهوم الحجاج اللغوي وارتباطها بمفاهيم عديدة أسهمت في تأطير هذه النظرية وتوضيحها.

-نظرية الحجاج في اللغة لديكرو وأنسكومبر الذي اعتبرا الحجاج قائم في جوهر اللغة نفسها بصرف النظر عن استخدامها فكل قول مهما كانت الغاية منه والدافع إليه قول حجاجي.

-يعد الحجاج في اللغة أهم مظاهر نظرية التداولية الجديد، حيث تدمج التداولية التي حاء بها اللغويان ديكرو وأنسكومبر في الدلالة للوصول إلى معاني الملفوظات.

-التداولية تخصص معرفي في انبثق عنها تيار الفلسفة التحليلية حيث يركز على دراسة اللغة.

-استجابة الخطاب القرآني لمقتضى الدراسة التداولية من خلال نظرية الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري.

ب- الشق الإجرائي:

-تعددت الآليات الإجرائية في الخطاب القرآن، حيث تكتسب طاقة حجاجية عالية فتؤدي إلى التأثير والإقناع.

-أهمية العوامل والروابط الحجاجية في العملية التواصلية، حيث تساهم في حجاجية الخطاب وتسهيل تلقيه، ومن ثمة فهمه والإقتناع به.

-تساعد بالوصل بين الحجج والنتائج وتتابعها وبيان ترتيبها مما أفاد في تدعيم الحجج مع بعضها البعض أو تقوية النتيجة وتوجيه القول.

-تساهم في تشكيل البنية الحجاجية اللغوية العامة للخطاب القرآني مما يسهل على المخاطب أن يتلقى من يفهمه، حيث يؤدي إلى تحقيق مبدأ الإفادة في عملية التواصل ومن ثمة حدوث التأثير والإقناع.

-أدّت العوامل والروابط في القضاء على تعدّد إمكانات التأويل وحصرها على الغاية الخطابية التي ترمي البنية الحجاجية.

_تعد الأفعال الكلامية الحجر الأساس في التداولية ويبرز الفعل الكلامي الإنجازي المحور الذي تدور حوله هذه النظرية.

-تنوعت الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني بين الإخبارية والتوجيهية والتعبيرية والإعلانية والتصريحية.

-الاستلزام الحواري بوضوح في القرآن الكريم ويتمثل في خروج الأساليب الخبرية والإنشائية إلى معان ثانوية مستلزمة يجري فيه الحدث الكلامي.

-إن السلم الحجاجي قوانين ثلاثة وهي بمنزلة قواعد تدعم هذا السلم (قانون النفي، القلب، الخفض) فهو من وسائل لغوية يتحقق بها الحجاج من الحجاج تقديم مجموعة من الحجج والأدلة التي تخدم النتيجة المقصودة.

-إن العلاقات الحجاجية بين الوقائع والأحداث في الخطاب القرآني نجد الربط يتجلى بين الحجج والنتيجة.

-يعتبر الاتجاه والموضع الحجاجي من الآليات الإجرائية التي تعمل كأداة لضبط المعنى وتوجيه المتلقي نحو قبول الفكرة أو الموقف المعروض.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

_أولا: المصادر.

1. ابن فارس أبي حسين أحمد بن زكريا الرازي، مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت، لبنان.

2. الفراهيدي الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م - 1424هـ، ج1.

3. ابن منظور، لسان العرب، ج2، دار صادر، ط3، بيروت، لبنان، 1993م - 1444هـ.

ثانيا: المراجع

1. ابن الجوزية، مفتاح السعادة، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت، لبنان

2. أسماعيل العلوي حافظ، الحجاج: مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، ج1، إربد، الأردن، 2010.

3. ـــــــــــــــ، الحجاج والاستدلال الحاجي، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، المملكة المغربية، 2011.

4. بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، جامعة سطيف، الجزائر، 2009.

5. بيرلمان شاييم، لوسي أولبرخت تيتكا، المصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة، تر: محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، جامعة بروكسل، 2023.

6. جاك مشلار روبول، التداولية اليوم: علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، ط1، بيروت، 2003.

7. الحباشة صابر، لسانيات الخطاب، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 2010.

8. ـــــــــــــ التداولية والحجاج: مدخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، ط1، دمشق، 2008.

9. حسن مسكين، الحجاج اللغوي قراءة في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، عالم الكتب الحديثة، ط1، إربد، الأردن، 2017م.

10. حشاني عباس، خطاب الحجاج والتداولية: دراسة في نتاج ابن باديس، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2014.

11. حمداوي جميل، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، مكتبة الأدب المغربي، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 2014.

12. الخالدي حسين ناصح كريم، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، دار الصفاء، ط1، عمان، 1428هـ / 2007م.

13. دايك فان، النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000.

14. الدريدي سامية، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2007.

15. ديكرو أزفالد، السلميات الحجاجية، ترجمة: أبو بكر العزاوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، فاس، المغرب، 2020.

16. السرتي زكرياء، اللغة والحجاج، ضمن: الحجاج اللغوي: قراءات في أعمال الدكتور أبي بكر العزاوي، تنسيق: حسن مسكين، ص. 229.

17. شارودو باتريك، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ترجمة: أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بنغازي، ليبيا، 2009.

18. صولة عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، ط1، بيروت، 2001.

19. ـــــــــــ، نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، ماسكيليائي للنشر، ط1، تونس، 2011.

20. طروس محمد، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، 1426هـ / 2005م.

21. الطلبة سالم محمد الأمين محمد، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بنغازي، ليبيا، 2008.

22. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1998.

23. ـــــــــــــ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 2000.

24. عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، ط1، بيروت، 1434هـ / 2013م.

25. العزاوي أبو بكر، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، بيروت، لبنان، 2010.

26. ـــــــــــــ، اللغة والحجاج، منتديات سور الأربكية، ط1، الدار البيضاء، 1426ه، 2006م.

27. العزاوي جاسم منصور كاظم، التداولية في الفكر النقدي، الشركة العربية المتحدة للتسويق، ط1، القاهرة، 2017.

28. العشراوي عبد الجليل، الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012.

29. العمري محمد، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، ط2، المغرب، 2012.

30. ـــــــــــــ، البلاغة العربية: أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق، بيروت، 1999.

31. فضل صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، مجلة عالم المعرفة، العدد 164، الكويت، أغسطس 1992.

32. قادا عبد العالي، بلاغة الإقناع: دراسة نظرية وتطبيقية، دار كنوز المعرفة، ط1، عمان، 1437هـ / 2016م.

33. كاريلو مانويل ماريا، خطابات الحادثة، ترجمة: إدريس كثير وعز الدين الخطابي، منشورات ما بعد الحادثة، ط1، 2001.

34. المبخوت شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، تونس.

35. مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على الصور المكية، دار المكتبة عدنان، ط1، لبنان، 1436ه، 2015م.

36. المغامسي آمال يوسف، الحجاج في الحديث النبوي: دراسة تداولية، الدار المتوسّطية للنشر، ط1، تونس، 1437هـ / 2016م.

37. منير وليد، النص القرآني من الجملة إلى العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، القاهرة، 1423هـ / 2003م.

38. الناجح عز الدين، العوامل الحجاجية، دار نهى، ط1، صفاقس، تونس، 2011.

39. النقاري حمو، الحجاج طبيعته، ومجلاته، ووظائفه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط، 1427ه، 2006م.

40. هناء حلاسة، بلاغة الحجة في الخطاب الخلافاء الراشدين، دراسة وصفية لنماذج خطابية، مركز الكتاب الأكاديمي/ ط، عمان 2016م.

-ثالثا: المجلات

1. الراضي رشيد، التداولية الحجاجية اللسانية عند أنس كامبر وديكرو، مجلة عالم الفكر، العدد 1، المجلد 34، يونيو - سبتمبر 2005.

2. بوقمرة عمر، بنظرية الحجاج في اللغة في الدراسات المعاصرة: الاستيعاب والممارسة، مجلة العاصمة، العدد 9، 2017.

-رابعا: الأطروحات

1. بوزناشة نور الدين، الحجاج في الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي: دراسة تقابلية مقارنة، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين سطيف، 2015-2016.

فـــهـــر س

العنوان	الصفحة
إهداء	
شكر وتقدير	
مقدمة	أ-ج
المدخل : الحجاج مفاهيم وتقاطعات	4-25
الفصل الأول: الحجاج اللغوي	26-73
المبحث الأول:نشأة الحجاج اللغوي	27-31
المبحث الثاني: أهم روادالحجاج اللغوي في النقد العربي	32-38
المبحث الثالث :الحجاج اللغوي عند أزفالد ديكرو- و أنسكومبر	39-49
المبحث الرابع :علاقة التداولية بالحجاج اللغوي	50-55
المبحث الخامس :الآليات الإجرائية للحجاج اللغوي	56-73
الفصل الثاني: الحجاج اللغوي في الخطاب القرآني	74-100
المبحث الأول: الروابط والعوامل الحجاجية في القرآن الكريم	75-85
المبحث الثاني: الأفعال الكلامية والإستلزام الحواري في القرآن الكريم	86-94
المبحث الثالث: السلم الحجاجي والعلاقات الحجاجية في القرآن الكريم	95-98
المبحث الرابع: المواضع والاتجاه الحجاجي في القرآن الكريم	99-100
خاتمة	101-103
قائمة المصادر والمراجع	104-108
الفهرس	109-110

الملخص

ملخص:

جاءت هذه النظرية الموسومة بـ "حجاجية الملفوظ في الخطاب القرآني نماذج مختارة"، لتكشف عن البنية الحجاجية للخطاب القرآني وقدرته على تحقيق فعلي الإقناع والتأثير في المتلقي من خلال البنية اللغوية التي يعتمدها في تمرير العقائد والتشريعات الإسلامية، أنا النماذج المختارة توضح الآلية الإجرائية التي يعتمدها القرآن الكريم في تبليغ رسالته وإقناع المتلقي.

الكلمات المفتاحية: الحجاج اللغوي؛ الملفوظ؛ التداولية؛ الخطاب القرآني .

Summary:

This theory, titled "The Argumentative Utterance in the Qur'anic Discourse: Selected Models", aims to uncover the argumentative structure of the Qur'anic discourse and its ability to achieve persuasion and influence on the recipient through the linguistic framework it employs in conveying Islamic beliefs and legislations. The selected models illustrate the procedural mechanism the Holy Qur’an relies on to deliver its message and persuade the audience.

Key words:

linguistic argumentation; utterance; pragmatics; Qur'anic discourse.